رسائل تربوية
(1)

رِسَالةُ المُعَلّمِ
وآدابُ العالم وَالمُتعلّمِ

تأليف
د. عبد المجيد البيانوني
دكتوراة في الشريعة وعضو رابطة الأدب الإسلاميّ العالميّة
المشرف العلميّ على موقع الميثاق التربويّ

الطبعة الأولى 1413 هـ
الطبعة الثانية 1420 هـ
الطبعة الثالثة 1429 هـ

يطلب من المؤلّف ص ب /
45206/ الرمز البريدي
21512/ جدّة ـ المملكة
العربيّة السعوديّة
جوّال /0503619445/
البريد الضوئيّ
ALBYANI@YAHOO.COM

بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء الطبعة الثانية

إلى روح والـــــدي المعلّم الأول في حياتي الذي قضى أكثر من سـبع وثلاثين سنة من حياته معلّماً وطالما ســمعت منه هــذه الكلمة : إن الله خلقني معلّماً ..

والـــــدي .! الـــــذي أحبّ مهنة التعليم من قلبه ، واعتزّ بها وأخلص لها بكـــلّ كيانه ، وبـــذل فيها جهـــده وطاقته ، وحرمه الإخلاص لمهنته كثـيراً من اللـذاذات والطموحـات ،

الــتي تطلّع إليها أقرانه ، ولم ينالوها إلا بعيداً عن هذه المهنة .!

إلى روح والـدي الـذي كـان في تعليمه أنموذجـاً يحتـذى بين أقرانه ، وفي نظر جميع طلابه ، تعلّمنا منه الكثـــــير الطيّب ، من أدب العلم ، وأخلاق المعلّمين ، والســــــلوك الاجتمـاعيّ المعطـاء ، وبقي يمـدّنا بتوجيهاته كبـــــاراً ، كما ربّانا عليها صـــــــغاراً ، ثمّ رأى من غرسه ما نحسب أنه أقـــــرّ عينه ، ونرجو له حسن المنقلب عند ربّه .

وإلى والدتي الغالية .! أمـدّ الله بحياتها في عافية ، الـــــتي أخلصت القصد ، و كـانت عونـاً لوالـدي ما

وســـعها الجهد ، وبـــذلت ما تـــدّخر لمتابعة تعليمي وتـذليل العقبـات في طريقي .

ربّ اغفر لي ولوالـــــــــدي ربّ ارحمهما كما ربّياني صغيراً .

ولدكم راجي الرضا

عبد المجيد

إهداء الطبعة الأولى

إلى الجنــديّ المجهــولِ ! الــذي يرابط مع الكلمــةِ الطيّبة ، والفكــرةِ

الحقّة ، يهــذّبُ النفــوسَ ، ويثقّــفُ العُقولَ ، ويُعدُّ الجيلَ للغـدِ المـأمولِ ..

إلى الجنــــديّ المجهـــولِ عند النـــاسِ ، ولا يخفى مكانُه عند الله ، يبذل نفسَه ليصنعَ نهضةَ أمّتِه ..

وإلى أصــحاب الرســالة حملة لواء الفلاحِ في كلّ ميدان .

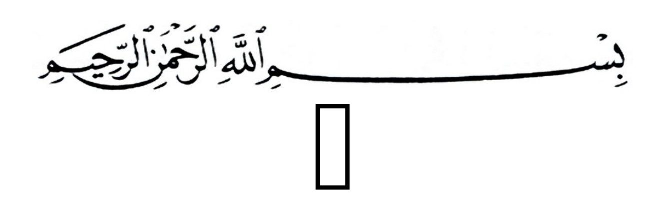
وإلى الشبيبةِ الناشـئةِ ، بـراعمِ اليومِ ورجالِ المستقبل ..

إلى أمتنا الحبيبة الــــتي تأمل النهــوض ، وتجد في طريقها شــتّى العقبات ..

أقدّم هذه الرسـالةَ مَعلمـاً على الطريق ، ومَنهجاً وذِكــرى ..

المؤلّف

[illegible]



الطبعة الثانية

إنّ الحمد لله ، نحمده ونستعينه ، ونستهديه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، وسيّئات أعمالنا ، من يهد الله فهو المهتد ، ومن يضلل فلن تجد له وليّاً مرشداً ، وأشهد ألاّ إله إلاّ الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمّداً عبده ورسوله ، أمّا بعد ؛

فإن أصدق الحديث كلام الله ، وخير الهدي هدي محمّد ، وشرّ الأمور محدثاتها ، وكلّ محدثة بدعة ، وكلّ بدعة ضلالة .. وبعد ؛ فقد نفدت الطبعة الأولى من هذه الرسالة منذ سنوات ، وطلب

منّي عـدد من الأحبّـة أن أعيـد طباعتهـا ، فعــزمت على إعــادة النظــر فيهــا قبــل طباعتها واجتهدت .. ولكن مشاغل أخرى حالت دون ذلك ، إلى أن هيّأ اللــه تعــالى لي شـيئاً من متنــاثر الـوقت ، فــاغتنمت القليل الذي أخشى أن يفوت بغير جدوى ، للنظر في هـذه الرسـالة كـرّة أخـرى ، وأنــا أرى أنّ مـا تتناولـه لا يـزال جمهـور المعلّمين والمتعلّمين بحاجة ماسّة إليــه ، وأنّ الخلل فيـه لا يعـوّض بشـيء ، مهمـا ملكنا من الوسائل التعليميّـة المتقدّمــة ، ومهمــا وضـعنا من الخطـط الطموحــة ، وبـــذلنا الإمكانـــات بســـخاء .. فأعـــدت النظـــر ، فكـــانت إضـــافات مهمّـــة هنـــا وهنــاك ، زانت جيـد هـذه الرسـالة كمـا يزين اللؤلؤ جيد العروس .. واجتهـدت ألاّ تخـــرج بهـــا عن طبيعتهـــا في الاختصـــار وصـغر الحجم ، لتسـهل مطالعتهـا ، ولا يملّ من قراءتها ، إذ القصد منها الـذكرى

، وما توفيقي إلاّ بالله عليه توكّلت ، وإليه أنبت ، وإليـه المصـير ، وآخـر دعوانـا أن الحمد لله ربّ العالمين .

جدّة في 2/2/1420 هـ

وكتبه

د. عبد المجيد البيانوني

الطبعة الأولى

إنّ الحمـد للـه نحمـده ونسـتعينه ، ونتوب إليه ونستغفره ، ونعـوذ باللـه من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنـا ، من يهـد الله فلا مضلّ له ، ومن يضـلل فلا هـادي لـه . اللهم اهـدنا الصـراط المسـتقيم ، وارزقنـا الإخلاص في القـول والعمـل ، وثبّتنا على الحقّ حتّى نلقاك ، وصلى الله وسـلم وبـارك على سـيدنا محمـد معلم الخير وعلى آله وصحبه والتابعين . وبعد ؛

فإنّ من بدائه الحقـائق أنّ الإسـلام دين العلم ، وأنّ التعليم مهنـة الأنبيـاء ، وأكـرم بهـا من مهنـة ! وكفى بـالمعلّم شـرفاً أن يكـون على خطـا الأنبيـاء

وهديهم إذا أدّى حقّ العلم ، وكـان وفيّـاً بهذه الأمانة ..

وإذا كان عمل كثير من المعلّمين لا يــؤتي ثمراتــه .؟ فلأنّهم نســوا مهمّتهم ورسالتهم وأصـبحوا مـوظّفين ، بعيـدين عن رســالة العلم ، ومــا تحملــه من أهــداف ســامية ، ولم يكونــوا قــدوة للمتعلّمين ، وأصــبح تعليمهم صــورة تنســخ ، لا روحــاً تنفخ ، ومــادّة تملأ العقول ، لا آداباً تهـذّبُ النفـوسَ .. ولن تعــود للتعليم روحــه الإســلاميّة مــا لم تسبق الآدابُ العلومَ ، والتزكيةُ التعليمَ ، غرســاً وتعهّـداً ورعايــة ، وتتضـافر على ذلك جهود الآباء والمربّين ..

وقـد سـألني بعض الأحبـة الناشـئين ممن يلوذ بي : لماذا تشكون منّا دائمـاً ؟ وتثنون على أساتذتكم وجيلكم ، وقد تهيّأ لنـا من تقـدّم أسـاليب التعليم ، وتوفـير الكتب المجانيّـة ، والمنـاهج المسـتقرّة ،

ووسائل المتنوّعة التقنية مالم يتيسّر لكم منه إلاّ النزر اليسير ؟!

فأجبتـه على عجالـة : إنّكم وجـدتم كـلّ شـيء من الأمـور الماديّـة الظـاهرة ولكنّكم فقدتم : (بركة العلم) !

قـــال : ولمـــاذا .؟ ومن المســـئول عن إعطائنـا (بركـة العلم) .؟ فوجـدتني مرّة أخرى أمام سؤال عليّ أن أجد جوابه ..

وعدت إلى نفسي فوجدت أنّ جانباً كبـيراً من المسـئوليّة يعـود على الجيـل الـــذي يُعلّم ، عنـــدما يُعلّم وهـــو فاقـــدٌ لرسالته التي ينطلق منهـا ، ويسـعى إلى تحقيقهـــا .. والجـــانب الاخـــر يعـــود إلى الانفصـــام بين التعليم والتربيـــة ، وتلقّي العلوم بصورة جافّة ، معزولةٍ عن روحهـا وآدابها . ويتحمّل المعلّمون في ذلك أيضاً عبئاً كبيراً ، ومسئوليّة جسيمة ..

وجـانب آخـر يعـود في بعض البلاد الإسلاميّة إلى الخلل في أهداف المنـاهج

التعليميّة نفسها ، وما تحمل من توجّهات بعيـدة عن دين الأمّـة وقيمهـا وآدابهـا ، والخلل كذلك في البيئة الاجتماعيـة الـتي تحيط بالطالب وتـؤثر فيـه ، ثمّ الأعـراف السائدة ، التي تفرض نفسـها بقـوّة على الطالب وعلى المجتمع ، وكثيراً ما تخـرج عن القيم والآداب الـــتي يُلقّنهـــا في المـدارس ويتعلّمهـا .. فـرأيت ضـرورة الكتابـــة في الجـــانبين الأوّلين اللـــذين أشبعهما علماؤنا الأجلاء عليهم رحمة الله ــ بحثـاً وتفصـيلاً ــ بالصـورة الـتي تلائم عصورهم وأجيالهم ..

فكانت هذه الرسالة في فصلين :

ـــ الفصـــل الأول : في رســـالة المعلّم : وفيه عدّة مباحث نتحدّث عنها .

ـ والفصل الثاني : في آداب العـالم والمتعلّم .

وقد قدّمت بين يـدي ذلـك بقبسـين من الـوحي الإلهيّ الشـريف : قبسٍ من

القـــرآن الكـــريم ، وقبسٍ من هـــدي المصطفى صلوات الله وسلامه عليه .

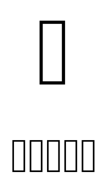
وختمت هذه الرسالة بنداء ورسـالة إلى كلّ معلّم ومعلّمة .

واللــه تبـارك وتعـالى أسـأل : أن يجعل هذه الرسالة خالصة لوجهه الكريم ، ويجعـل فيهـا النفـع والخـير للمعلّمين والمتعلّمين وعامّـــة المســـلمين ، وأن يكون فيها ذكـرى وبلاغ ، ويكتب لي فيهـا الأجر والمثوبة ، إنّه أكرم مسـئول ، وهـو المرجّى للقبول ، وآخر دعوانـا أن الحمد لله ربّ العالمين .

جـــدة في 8 من ذي الحجــــة 1413هـ

وكتبه





أقباسٌ مِن هَدْيِ القُرآنِ الكَرِيمِ
في العِلمِ والتعليمِ

* **ـ لا علمَ لنا إلاّ ما علّمنا اللـهُ تعالى** : (.. ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ) البقرة .

* ـ العلمـاء هُم أهـل الخشـية للـه **تعالى** : (.. ﯚ ﯛ □ □ □ □ □ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ) فاطر .

* **ـ المؤمِنُ يطلُبُ زيادةَ العلمِ دائماً** : (□ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ) **طه** .

* **ـ العلم خصوصـية من اللـه ورفعة** : (.. □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ﯨ ﯩ) يوسف .

* **ـ العلمُ عمـلٌ وخشـيةٌ ، ولا يَستوي أهلُ العلمِ وغيرُهم** : (ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ □) الزمر .

* ـ **العلمُ رِفعةٌ ودرجاتٌ** : (..
ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ) المجادلة .

* ـ **العلمُ أساسُ الدينِ** : (ﰉ ﰊ
ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ) محمّد .

* ـ **مُهمّـةُ الرسُـولِ ﷺ التربيـةُ والتعليمُ** : (ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ
ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ی) آل عمران .

* ـ **تعليمُ الله تعالى لنبيّه ﷺ مَا لم يعلَمْ** : (ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ
ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ی
ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ) النساء .

* ـ **طَلَبُ العِلمِ فَرضُ كِفايةٍ** :
(ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ
ﯦ ﯧ ﯨ ی ى ي) التوبة .

* ـــ **القـولُ على اللـهِ تعـالى بغيرِ علمٍ مِن كبَائِرِ الذُّنُوبِ** : (ﭼ ﭽ ﭾ
ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ
ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ) الأعراف .

*** ـ أهلُ العِلمِ هُم مَرجِعُ الأمّة**

:) ـ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ
ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ)
النحل .

*** ـ التربيـة الايمانيـة قبـل التعليم وهي أساسه :**

ـ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهمـا قَـالَ : كُنْتُ خَلْـفَ رَسُـولِ اللـهِ ﷺ يَوْمًـا فَقَالَ : (**يَا غُلامُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ** : (**احْفَـظِ اللـهَ يَحْفَظْـكَ ، احْفَـظِ اللـهَ تَجِـدْهُ تُجَاهَـكَ ، إِذَا سَـأَلْتَ فَاسْـأَلِ اللـهَ ، وَإِذَا اسْـتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ ، وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ ، لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلاّ بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ ، وَلَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ ، لَمْ يَضُرُّوكَ إِلاّ بِشَيْءٍ قَـدْ كَتَبَـهُ اللـهُ عَلَيْـكَ ، رُفِعَتِ الأَقْلامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ**) [1] .

---

[1] (?) ـ رواه الترمذي /2440/ وقَالَ : هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ ، وانظر الحديث التاسع عشر من جامع العلوم والحكم صفحة /160/ .

وفي رواية غير الترمذي : (**احفظ الله تجده أمامك . تعرّف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدّة . واعلم أنّ ما أخطأكَ لم يكن ليصيبكَ ، وما أصابكَ لم يكن ليخطئكَ ، واعلم أنّ النصرَ مع الصبر ، وأنّ الفرجَ مع الكرب ، وأنّ مع العسر يسراً**) .

* ـ **مثلُ ما بُعِث به النبيُّ من الهُدى والعِلمِ** : عَنْ أَبِي مُوسَى الاشعري عَنِ النَّبِيِّ قَالَ ـ (**إِنَّ مَثَلَ مَا بَعَثَنِيَ اللهُ بِهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنَ الْهُدَى وَالْعِلْمِ ، كَمَثَلِ غَيْثٍ أَصَابَ أَرْضًا فَكَانَتْ مِنْهَا طَائِفَةٌ طَيِّبَةٌ ، قَبِلَتِ الْمَاءَ ، فَأَنْبَتَتِ الْكَلأَ وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ ، وَكَانَ مِنْهَا أَجَادِبُ أَمْسَكَتِ الْمَاءَ ، فَنَفَعَ اللهُ بِهَا النَّاسَ ، فَشَرِبُوا مِنْهَا وَسَقَوْا**

وَرَعَــوْا ، وَأَصَــابَ طَائِفَــةً مِنْهَــا أُخْرَى ، إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ ، لا تُمْسِكُ مَاءً ، ولا تُنْبِتُ كَلأً ، فَذَلِكَ مَثَـلُ مَنْ فَقُـهَ فِي دِينِ اللــهِ ، وَنَفَعَـهُ بِمَـا بَعَثَنِيَ اللــــهُ بِــــهِ ، فَعَلِمَ وَعَلَّمَ ، وَمَثَـلُ مَنْ لَمْ يَرْفَـعْ بِـذَلِكَ رَأْسًـا ، وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللهِ الَّذِي أُرْسِـلْتُ بِهِ) [1] .

□□□□□

---

[1] (?) ــ رواه البخــاري 1/160-161 ومســلم 2282 وأحمد 4/399 .

الغيث : المطر ، والكلأ بفتحتين : المـرعى ، والعشب بضم العين وسكون الشين : الكلأ الـرطب في أول الربيع والأجادب : الأرض التي لا تنبت .

المُعلّم والمُربّي الأوّل سيّدنا محمّد ﷺ

يقول الله تعالى : (ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ.. ﮈ) الأعراف .

ويقول سبحانه : (.. ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ) الأعراف .

إنّ من أبرز خصائص رسول الله ﷺ أنّه نبيّ أمّيّ بعث في أمّة أمّيّة ، ولكنّ هذا الأمّيّ الذي لم يقرأ كتاباً ، ولم يتعلّم على يد أحد من البشر جاء بعلوم شتّى ، شملت جميع جوانب الحياة ، سبق بها العصر الذي كان فيه بقرون عديدة ، وحارت بها ألباب العلماء ، والفلاسفة والحكماء ، ممّا وضع الناس جميعاً أمام بيّنة عقليّة واضحة ، وحُجّة ملموسة : أنّ العلوم التي جاء بها هذا النبيُّ الأمّيُّ : إن هي إلاّ وحي من الله

تعالى ، وفتح وعطاء من مالـك الملـك ، عالم الغيب والشهادة ..

ولقد أراد الله تعالى لأمّـة الرسـالة الخاتمـة : أن تكـون أمّـة علم وتعليم ، يبـدأ تعليمهـا من نـور الـوحي ، ويتّصـل باللـه تعـالى ، وتحمـل رسـالة الإنقـاذ للإنسانيّة كلّها ..

وإنّ البـدء بـالتعليم هـو المنطلـق الأوّل ، الـذي لا يسـتقيم أيّ جـانب من جـوانب الحيـاة الإنسـانيّة إلاّ بـه ، ولا ينحطّ الإنسان ، ولا تنحطّ أمّة من الأمم ، ولا تضـلّ الإنسـانيّة وتتخبّـط إلاّ من التفريط في العلم الصحيح أو الانحـراف عن سبيله : إمّـا إلى جهـل وتخلّـف ، أو إلى علم منقطـــع عن غايتـــه المثلى وأهدافه ، يضرّ الإنسان ولا ينفعه .

فالأمّة بلا علم متّصـل بنـور الحـقّ ، يوضّح لهـا جـوانب سـلوكها ، وبلا تربيـة

يعــرف كــلّ فــرد من أفرادهــا واجبــه ومسئوليّاته ـ الدنيويّة والأخرويّة ، تصبح أمــة فوضــويّة تائهــة ، تصــرفاتها غــير متوقعــة ولا منضــبطة ، ولكــلّ فــرد من أفرادهـا سـلوك يخـالف سـلوك الآخـر ، وعـادات وتصـورات تختلـف عن عاداتـه وتصوراته .

فكيف تفلح أمة ، أو تستقيم حياتهــا إذا كانت على هذه الصورة ، أو كـان أيّ فرد من أفرادها كذلك .؟

وإنّ الظاهرة المتميّزة الـتي نجـدها في حيــاة ســيّدنا محمــد : أنّــه عليــه الصــلاة والســلام بــدأ بتشــكيل أمّــة جديدة ، كانت لها كلّ مقوماتها الفكريّـة والســـلوكيّة والأخلاقيّـــة والتشـــريعيّة والدستوريّة واللسانيّة ، فكان الفرد فيها ينبتُّ عن صلته بأيّ عالم غير عالم هـذه الأمّة ، بعـدما ينصـهر انصـهاراً تامـاً في

بوتقة الإسلام ، وتتّضح له غايته ومصيره ، ثمّ ينطلـــق في اتجـــاه واضـــح بيّن ، لا يزيغ عنه ولا يحيد .

لقد وضّح النبيّ ﷺ لكلّ فرد مهمّتــه ، وربّـــاه على أدائهـــا ، ووضّـــح للجميـــع المهمّة الكبرى لهم في حياتهم ، ورســم لهم الطريــق لبلوغهــا ، وعــرّفهم بكــلّ شيء في كلّ جانب من جوانب الحياة ، كيلا تلتبس عليهم السبل ، ولا تــزلّ بهم قدم ، وقادهم في هـذا الطريـق بنفسـه ورعايته مـدّة ، ثمّ تـركهم على المحجّـة البيضاء ومضى إلى ربّه ، فانطلقوا بعده لم يغيّـــروا ، ولم يبـــدّلوا ، فكـــان من آثارهم ما كـان ، ممـا لا يخفى على كـلّ عاقل منصف ..

وإنّ أعظم آليّــة جــاء بهــا النــبيّ ﷺ لنشر العلم بين فئات الأمّة على اختلاف مســـتوياتها : هي تحويـــل التعليم إلى

مسـئوليّة دينيّـة اجتماعيّـة ، تُطـالب بهـا كــلّ فئــة متعلّمــة ، مهمــا تكن درجــة تعليمهـا ، تجـاه من يجاورهـا أوْ تختلـط به ، وقد جاء ذلك في حديث واضح كــلّ الوضوح ، يقرّر هذه الحقيقـة ويؤكّـدها :
عَنْ عبْد الرحمنِ بنِ أبْزى قال :

" خطب رسـول اللـه ذات يـوم ، فحمد الله واثنى عليه ، ثم ذكر طوائــف من الناس ، وأثنى عليهم خيراً ، ثم قال : (**مــا بــالُ أقــوامٍ لا يُفقِّهــون جـيرانهم ؟! ولا يُعلِّمـونهم ؟! ولا يُفطّنُــونهم ؟! ولا يــأمُرونهم ؟! ولا ينهونهم ؟! وما بـالُ أقـوامٍ لا يتعلَّمُــــون من جــــيرانهم ؟! ولا يتفقَّهُون ؟! ولا يتفطَّنون ؟! .**

والله ليُعَلِّمَنَّ قـومٌ جـيرانهم ، ويفقهــــونهم ، ويُفطنــــونهم ، ويــــــأمرونهم ، وينهــــــونهم ،

وليتعلمن قومٌ من جيرانهم ، ويتفقهون ، ويتفطنون ، أو لأعاجلنَّهم العقوبة في الدنيا .

ثم نزل فدخل بيته ، فقال قومٌ : من ترونه عنى بهؤلاء ؟ قالوا : نراه عنى الأشعريِّين ، هم قومٌ فقهاء ، ولهم جيرانٌ جُفاةٌ من أهل المياه والأعراب .

فبلغ ذلك الأشعريَّين ، فأتوا رسول الله ﷺ فقالوا : يارسول الله ، ذكرت قوماً بخيرٍ ، وذكرتنا بشرٍّ ، فما بالُنا ؟

فقال : ليُفقهُنَّ قومٌ جيرانهم ، وليفطّنُنَّهم ، وليأمرونَّهم ، ولينهوُنَّهم ، وليتعلّمَنَّ قومٌ من جيرانهم ، ويتفطنون ويتفقهون ، أو لأعاجلنَّهم العقوبة في الدُّنيا .

فقالوا : يارسول اللـه أنُفطّن غيرنـــا ؟ فأعـــاد قولـــه عليهم فأعادوا قـولهم : أنُفطّن غيرنـا ؟ فقال ذلك أيضاً .

فقـــالوا : أمهلنـــا ســـنةً ، فـــأمهلهم ســـنة ليفقهـــوهم ، ويعلمونهم ، ويفطنونهم .

ثم قرأ رسول الله هذه الآية : (ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ) المائدة [1] .

ولا يزال الهدي الذي جاء بـه محمّـد بن عبد اللـه وتربيتـه المثلى تأخـذ بيـد

---

[1] (?) ـ رواه المنـذري في الـترغيب والـترهيب 1/86 و " مجمـع الزوائـد " 1/164 ورواه الطـبرانيّ في الكبـير ، وقال الحافظ ابن السكن : " إسناد هذا الحديث صالح " ورجّح أستاذنا الشيخ عبد الفتاح أبو غدّة رحمه اللـه أنّـه حسـن أو يقاربـه ، ينظـر : " الرسـول المعلّم وأسـاليبه في التعليم " ص/17/ .

المسلم كلّما تعثّر أو كبا ، لتنقذه في متاهات الحياة ، واتّجاهاتها المتضاربة ..

وإذا كان كمال المربّي ونجاحه في عمله يتجلّى في ثلاثة جوانب ، كلّ واحد منها على درجة كبيرة من الأهمّيّة ، وهي :

1 ـ نقل نفس الإنسان وعقله من حالة دنيا إلى حالة أعلى ، وكلما ترقّى بالإنسان وسما به أكثر دلّ ذلك على كماله ورفعة عمله .

2 ـ ويتجلّى أيضاً نجاح المربّي في سعة دائرة الناس الذين استطاع أن ينقلهم إلى الكمال الإنسانيّ ، فكلّما كانت الدائرة أوسع وأشمل كان ذلك أدلّ على كمال المربّي ونجاحه في عمله .

3 ـ كما يتجلّى نجاح المربّي في عمله : في صلاح هذا المنهج وهذه

التربيـة ، وحاجـة النـاس جميعـاً إليهـا ، واستمرار إيتاء هذه التعاليم آثارهـا على مدى العصور .

وكلّ ذلك مما تحقّق في حياة النبيّ ﷺ على أكمل وجـه وأتمّـه ، وامتـازت بـه التربية النبويّة التي جاء بهـا ، وشـهد بـه القريب والبعيد ، واعترف به العدوّ قبـل الصديق .. وممّا جـاء من شـهادات غـير المسلمين :

ــ قـال مـوير : " لم يكن الإصـلاح أعسـر ولا أبعـد منـالاً منـه وقت ظهـور محمّــد ، ولا نعلم نجاحــاً أو إصــلاحاً تمّ كالذي تركه بعد وفاته " .

ــــ وقــــالت دائـــرة المعـــــارف البريطانية : " لقد صادف محمّد النجــاح الذي لم ينل مثله نبيّ ، ولا مصلح ديـنيّ في زمن من الأزمنة " .

ــ ويقــول بــوزورث اســمث : " إن محمّــداً بلا نــزاع هــو أعظم المصــلحين على الإطلاق " .

ـ ويقول هيل ـ: " إن جميع الدعوات الدينيّة قد تركت أثراً في تاريخ البشــريّة ، وكلّ رجال الــدعوة والأنبيــاء قــد أثّــروا تــــأثيراً عميقــــاً في حضــــارة عصــــرهم وأقـــوامهم ولكنّــا لا نعــرف في تــاريخ البشــر أنّ دينــاً انتشــر بهــذه الســرعة ، وغيّــر العــالم بــأثره المباشــر كمــا فعــل الإســلام . ولا نعــرف في التــاريخ دعــوة كان صاحبها سيّداً مالكاً لزمانــه ولقومــه كما كان محمّد " .

" لقـــد أخـــرج أمّـــة إلى الوجـــود ، ومكّن لعبــادة اللــه في الأرض ، وفتحهــا برسالة الطهر والفضيلة ، ووضع أســس العدالـــة والمســـاواة الاجتماعيّـــة بين المؤمــنين ، وأصّــل النظــام والتناســق ،

والطاعة والعزّة في أقوام لا تعرف غـير الفوضى " .

فهل لمسلم بعد ذلك أن يقــول عن أحـد : إنّـه المعلّم والمـربّي الأوّل إلاّ عن سيّدنا محمّد .؟!

الفصل الأوّل

رسـالةُ المُعلّم

مـــع كـــثرة العلم والمعـــارف في عصـــرنا ، واتســـاع دائـــرة المعلومـــات ، والكمّ الهائـل من الاكتشـافات العلميـة ، وثورة التقنيّة والمخترعـات ، ومـع تطـوّر الوســـائل التعليميّـــة ، وتنـــوّع أســـاليب التعليم وطرقه ، ودعوى أن عصرنا عصر العلم ، وكـأنّ أســلافنا كـانوا في عصـور الجهل والأميّة ، وكأنّ الحضارة الاسلاميّة ، لم تكن حضـــــارة علميّـــــة راســـــخة الأسـس ، وطيـدة البنيـان ضـربت في كـل العلوم بحظّ وافرٍ .. مع هذا الواقع وتلــك الـــدعوى : فإننـــا نحسّ ونلمس ، ونحن

نمـــــارس التعليم ، ويتقلّب أبناؤنـــــا في مراحله ومستوياته المختلفة ، وتبذل لهم كلّ الإمكانات الهائلة ، وتجنّد لهم حشــود من الطاقات العاملة .. مع كلّ هـذا فإننـا نحسّ أنّ التعليم يفقـد بريقـه يومـاً بعـد يوم .. وأنّ العلم المبذول جسـد من غـير روح ، وصورة بلا معنى وأن المتعلّم فاقدٌ لبركة العلم ونوره وروحانيّته وسموّه .

وتلك لاشكّ مسئولية المعلمين أولاً ، الـــذين تحـــوّل عملهم في كثـــير من الأحيـان إلى عمـل وظيفيّ آليّ ، وغلبت على كثـير منهم الملالـة والسـأم ، وأداء العمل بصورة شكليّة رتيبـة ، وغـابت عن كثير منهم الأهداف التربويّة ، فلم يتوخّوا تحقيقهـــا في عملهم ، وكـــانت النتيجـــة انحطاط التعليم ، وضياع المتعلّمين ..

فمن ثمّ كـان لابـدّ لنـا من العـودة الصادقة الواعية إلى المنهج الذي قـامت

عليه نهضة هـذه الأمّـة وحضـارتها ، وهـو المنهج الـذي بعث بـه النـبيّ ، وأسّـس عليه بنيان دولة الإسـلام الأولى ، فكـانت مدرسة تخـرّجت فيهـا خـير أمّـة عرفتهـا البشريّة ، وكان منها أزكى النـاس ، وخـير أجيال الدنيا على الإطلاق ..

وهـذه الرسـالة إن هي إلاّ محاولـة لرسـم الصـورة الصـحيحة لهـذا المنهج ، الـذي يقـوم على التعليم بمـا وضـع لـه الإسـلام من الحـدود والقيم ، والآداب والضـوابط ، ممّـا أثمـر تلـك الحضـارة الإنسانيّة المتميّزة ..

والحديث عن رسـالة المعلّم يتصـل بالحـديث عن الرسـالة والرسـول ، تلـك الرسالة التي هي رسالة العلم والإيمان :
(.. ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ) طه .

والعلمُ هو سبيل الخشية ، والقـرب من الله : (.. ۋ ۋ   ې .ـ ـۀ) فاطر .

والرسـول هـو الـذي علّمـه اللـه تعـالى مـا لم يعلم ، وبعثـه اللـه معلّمـاً للإنسانيّة ورحمة للعالمين : (..   ى ى ي ي   ) النساء .

وإنّ مهمّـة المعلّم تقتضـي التميـيز بين المعلّم وبين الموظّـف الـذي يقـوم بعمل مكتبيّ ، بالرسـالة الـتي يـؤمن بهـا المعلّم ، ويحملها بين جوانحـه ، وتتفاعـل معهـا مشـاعره ، وينقلهـا إلى طلابـه وتلامذتـه ، هـذا التميـيز يعـدّ على جـانب كبـير من الأهميّـة ، أن تسـلط عليـه الاضـواء ، ويركّـز عليـه الانتبـاه ، ويعـالج بكثير من الاهتمام ، لمـا أنـه يتنـاول روح العلم والتربيـة ، الـتي يتلقّاهـا الطـالب ، وتتكوّن بها شخصيّته بجوانبها المختلفـة ،

خلال سنوات دراسته وتحصيله ، وعنــدما يفقد المعلّم رسالته يتحوّل إلى موظّف ، ويكون العلم ضـعيف الأثـر ، عقيم الثمـر في حياة الأمّة ، وسلوك أبنائها .

هــذا وقــد رأيت أن أتحــدث عن رســالة المعلم الــتي تميّــزه عن مهنــة الموظّف من خلال المباحث التالية :

ـ المبحث الأوّل : نحن أمة رسالة .

ـ المبحث الثـــاني : الفـــرق بين المعلّم والموظّف .

ـ المبحث الثــالث :علاقــة النــاس بالمعلّم والموظّف .

ـ المبحث الرابع : المعلّم في مفهوم الاسلام .

ـ المبحث الخامس : صفات المعلّم التربويّة المؤهّلة .

ـ المبحث السادس : أسباب أخـرى تحول المعلّم إلى موظّف .

المبحث الأوّل
نحن أمّة رسالة

لقد أختار الله تبارك وتعالى محمـداً خاتماً للأنبياء والرسل ، وجعـل شـريعته خاتمة الشرائع والرسالات ، وأمّته خاتمة الأمم ، وشـــهيدة على النـــاس ، فقـــال تعالى : (ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ڄ ڄ ڃ ڃ.. گ) البقرة .

وهذا القول مِن بدائه الحقائق الـتي تميّـز أمّـة الإسـلام في وجودهـا الـذاتيّ ورسالتها الحضاريّة بين الأمم : (ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ.. ڄ) آل عمران ، كما تميز المسـلم في تكوينـه وسـلوكه ، وأخلاقه وعلاقاته .

إنّهـا حقيقـة بدهيّـة تـترتّب عليها عـدة حقـائق أوليّـة أساسـيّة أهمّها :

1 ـ أنّ على كل مسلم أن يحمل في عقله وقلبه ، وسلوكه وأخلاقه : رسالة الإسلام وقيمه ومبادئه ، ويبلغ ذلك للناس بقوله وفعله ، ويدعو إليه بحسب استطاعته .

2 ـــ وأنّ التعامل بين المسلمين ينبغي أن تحكمه مبادئ الإسلام وقيمه وأحكامه .

3 ـ وأنّ علاقة المسلمين بغيرهم ينبغي أن تحكمها أيضاً مبادئ الإسلام وقيمه .

ويمثّل هذه البدهيّات كلّها قول الخليفة الراشد : عمر بن الخطاب : (**نحنُ قومٌ أعزّنا الله بالاسلام مهما أبتغينا العزّةَ بغيره أذلّنا الله**) .

ويترتّب على هذه الحقائق أنّ على الأمّة المسلمة أن تترسّم خطا المنهج الذي جاء به النبيّ في تصوّراتها

وخططها ، وعلاقاتها وجميع شئونها ، إذا أرادت أن تكون وفيّةً للدين والمنهج الذي أعزّها الله به .

ــ ولكنّ الذين يُسألون عن حمل رسالة الإسلام وتبليغها بالدرجة الأولى ، وعلى الوجه الأكمل إنّما هم العلماء ، الذين هم ورثة الأنبياء ، كما جاء في الحديث الصحيح ، وإنّ علماء الأمة في كلّ جيل مهمّتهم ورسالتهم الأولى أن يُربّوا الناس بالإسلام ، وأن يربطوا بين هذه الأمّة في أجيالها المتلاحقة ، وفي حياتها النظريّة والعمليّة وبين الإسلام عقيدة ومنهجاً ، وأخلاقاً وسلوكاً ، وعبودية خالصة لله ربّ العالمين .

وحمل رسالة الإسلام وتبليغها إنّما يعني : أنّ هذه الأمّة لها في الحياة هدف وغاية ، وأنّ التربية ينبغي أن تستهدف تحقيق هدفها وغايتها .

فما غاية التربية ؟ وماذا يــراد من ورائهــا ؟ ولمــاذا تبــذل هــذه الإمكانـــات الهائلـــة ، والقـــدرات المتنوّعة ، والمـواهب الفنيـة على التعليم .؟ ولمـــاذا تنفـــق الأمّـــة بسخاء في هذا السبيل ، وعلى طريقـة مقصودة منظمة .؟

ـــ إنّ التربيـــة والتعليم إذا ســارت على غير هـدف أو غايـة واضحة أوجـدت فجــــوة بين الأمّـــــة وبين عقيـــــدتها وتصوراتها ، وحضـارتها وتراثهـا ، فمن ثمّ فإنّ وظيفـة التعليم الأولى أن يربـط بين الأمّة وبين هذه الأمور برباط محكم وثيق ، وينقل تراث الآباء والأجداد إلى الأجيـال القادمة ، ذلـك الـتراث الـذي أفـرغ فيـه سـلفنا الصـالح خـير قـواهم ومـواهبهم ، وبذلوا فيه أعمـارهم ، ونقـل إلينـا بأيـدي

الأمنـــاء ، وعلى جســـور من الأشـــلاء والتضحيات ..

ثمّ لا ينبغي أن تقتصـــر مســـئوليّة التعليم على النقل والتبليغ فحسـب ، بـل ينبغي أن يعمّق هـدف التعليم وغايتـه في القلـوب والعقـول ، ويمـزج بالأحاسـيس والمشـــاعر ، ليتمّ نقلـــه إلى الأجيـــال اللاحقة بدقّة وأمانة ، وأقصـى درجـة من الصدق والفاعليّة .

وقد جـاء في دائـرة المعـارف البريطانية في تعريـف التربيـة مـا يلي : " لقـــد ســـلك النـــاس مســـالك مختلفـــة في التعريـــف بالتربيـــة ، ولكن الفكـرة الأساسـيّة الـتي تسـيطر عليهـا جميعـاً ـ " أنّ التربيـة ـ هي الجهـد الـذي يقــوم بــه آبــاء شــعب ومربّــوه لإنشــاء الأجيـال القادمـة ، على أسـاس نظريّـة الحياة التي يؤمنون بها " .

" وإنّ وظيفة المدرسة أن تمنح للقوى الروحيّة فرصة التأثير في التلميذ .. تلك القوى الروحيّة ، التي تتصل بنظرية الحياة ، وتربّي التلميذ تربية تمكّن من الاحتفاظ بحياة الشعب وتمديدها إلى الأمام " .

المبحث الثاني

الفرق بين المعلّم والموظّف

يجمع بين المعلّم والموظّف أن كلاًّ منهما مسلم [1] يحمل في عقله وقلبه ،

---

[1] (?) ـ الأصل في الدولة الإسلاميّة ألاّ يكون موظّفوها الإداريّون إلاّ من المسلمين ، إذ إن الموظّف وكيل عن وليّ الأمر ونائب عنه في تنفيذ شريعة الله ، وإقامة العدل بين الرعيّة ، وإيصال الحقوق ، وحفظها ، والقيام على مصالح الأمّة ، فأهل الذمّة من اليهود والنصارى لا يستعان بهم في أعمال إداريّة فيها نوع من الولاية على حقوق الأمّة ومصالحها وأفرادها ، وهي نوع من النيابة عن وليّ الأمر ، وقد قال الله تعالى : (ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ) النساء ، وقد ذهب الماورديّ إلى جواز أن يكون وزير التنفيذ ذمّيّاً ، وتبعه بعض المعاصرين ، وانتقده أبو يعلى وإمام الحرمين في " غياث الأمم " ، وابن جماعة إذ يقول : " ولا يجوز تولية الذمّيّ في شيء من ولايات المسلمين إلاّ في جباية الجزية من أهل الذمّة أو جباية ما يؤخذ من تجارات المشركين " ، وإنّ وقائع التاريخ الإسلاميّ وما فيها من خيانات كثير من أهل الذمّة للمسلمين ، تؤيّد القول الأول ، وتقتضي الأخذ بالحيطة في هذا الأمر والحذر ، ينظر : " تحرير الأحكام في

وسـلوكه وأخلاقـه رسـالة الإسـلام ، ويـدعو إليها بحسب استطاعته ، وهذا مـا تـبين لنـا في النقاط السابقة .

ولكنّنـا من خلال طبيعـة عمـل كل من المعلّم والموظـــف ومهمّتهمــا في الحيـــاة نســـتطيع أن نعـــرّف المعلّم والموظّف على النحو التالي :

ـ **فالمعلّم** هو الذي يأتمنـه النـاس على تربيـة أولادهم ، وتـأديبهم وتعليمهم ، ويتحقـق بمسـتوى مناسـب من الأهليّـة لذلك ..

ـ **وأمّا الموظّف** فهو الذي يكلّـف بعمل ما ، وتتحقق به الأهليّة العلميّة ، أو الفنيّة ، أو الخبرة المناسبة لهذا العمل ..

ونستخلص من التعـريفين الحقـائق التالية :

تدبير أهل الإسلام " للإمـام بـدر الـدين بن جماعـة ص/ 78/ وتعليق الدكتور فؤاد عبد المنعم أحمد .

1 ـــ أنّ كلاًّ من المعلّم والموظّـف يتحقّق فيهما قدر مشترك من المـؤهّلات العلميّـة والأخلاقيّـة ، والمهـارات الفنيّـة المناسـبة لمهمّـة كـلّ منهمـا ، وطبيعـة عمله واختصاصه .

2 ـــ أن الجـــانب الأساســيّ في المعلّم هـو المسـتوى العلميّ والسـلوك الأخلاقيّ المناسـب ، والقـدرة على التعليم والعطـاء ، بمـا ينسـجم مـع طبيعـة المهمّـة الملقـــاة على عاتقـــه ، ولا يفـــترض في الموظّف أن يكون كذلك كما هو واضح .

3 ـ أن علاقة المعلّم علاقة إنسـانيّة تربويّـــة ، فميــــدان عملـــه : النفس البشريّة ، ومهمته صقل العقول ، وإيقاظ القلـوب ، وتهـذيب النفـوس ، وغـرس الفضـائل ، واجتثـاث الرذائـل ، وتنشـئة الطفال تنشئة قويمة سويّة .

إنّ مهمّـــة المعلّم تتعلـــق بســيّد المخلوقات في هـذا الوجـود .. بالإنسـان

الذي خلقه الله بيديه ، وأسجد له ملائكته ، وجعلـه في أحسـن تقـويم ، وحملـه مـا ناءت السموات والأرض والجبال بحمله ، فشــرّفه بالأمانــة ، وخصّــه بــالتكليف ، ليكون في أرفع المنازل عند الله تعالى ، إن وفّى بعهد الله وأمانته .

إنّنــا نلقي إلى المعلّم بفلــذات أكبادنـا ، معـادنَ وخامـاتٍ ليجعـل منهـا أدوات نفيســة القــدر ، عاليــة الهمّــة ، شـريفة المهمّـة ، وينقش عليهـا نقـوش الحقّ ، الـتي تؤهلهـا لجليـل المهـام ، ولا تمحوها الليالي والأيّام .

وفي هــذا المعــنى يقــول الإمــام الغزاليّ رحمه الله تعالى :

" إن الصــــبيّ أمانــــة عنــــد والديــه ، وقلبــه الطــاهر جــوهرة نفيســة ســاذجة ، خاليــة من كــلّ نقش وصورة ، وهو قابل لكـلّ مـا

ينقش فيـه ، ومائـل إلى كـل مـا يمـال إليـه ، فـان عُـوّد الخـير وعُلّمـه ، نشـأ عليـه ، وسـعد في الدنيا والآخرة ، وشاركه في ثوابـه أبواه وكلّ معلّم لـه ومـؤدّب ، وإن عُوّد الشرّ ، وأهمل إهمال البهـائم شـقي وهلـك ، وكـان الـوزر في رقبة مُربّيه والقيّم عليه " [1] .

ـ أمّا الموظّف ؛ فقد يكـون تعاملـه مع آلة صمّاء فحسب ، لا صلة له بالناس مطلقـاً ، وقـد يكـون بعيـداً عن النـاس يتعامـل مـع أوراق تصـله ، ومعـاملات للناس يتلقاها من موظف آخر ، فتنحصـر علاقتـه مـع النـاس بعلاقتـه مـع زملائـه ورئيسه ، وقـد يكـون تعاملـه مـع النـاس محدّداً بلحظة عابرة ، أو كلمة محـدودة ، فلا يربطـه مـع النـاس سـوى نظـام

(?)[1] ـ نقلاً عن كتـاب : " منهـاج التربيـة الصـالحة " ص/ 76/ للشيخ أحمد عزّ الدين البيانوني رحمه الله .

وشروط وقيود ، ولا تصله بهم إلاّ الأوراق المطلوبة ، والشروط المستوفاة .

ولا يخفى أنّ ذلك في كثير من الأحيان إن لم يصحبه حسن الخلق ، والصبر الجميل ، والأسلوب الحكيم في العلاقة ، والطيب في التعامل ، فإنّه يورث الجفاء في العلاقة بينه وبين الناس ، لأن النفوس جُبلت على النفرة من القيود والنظام ، وإباء الانقياد والانتظام .

ولئن كانت طبيعة عمله لا تقلّل من أهميّة أخلاقه وسلوكه ، وضرورة صبره وتحمّله ، وحسن علاقته بالناس ولطفه ، وما لذلك كلّه من أثر ، وما يتركه في نفوس المتعاملين معه من انطباع حميد ، وثناء عطر ، وتأثير طيب ، ولكنه لا يقف في ذلك كلّه موقف المعلّم للناس ، والمربّي الموجّه ..

ونخلص من ذلــك : إلى أنّ الفــرق الــذي نريــد الحــديث عنــه بين المعلّم والموظّـف يتجلى في طبيعـة علاقـة كـلّ منهما بالناس ، ففي الـوقت الـذي تكـون علاقـة المعلّم مـع تلاميـذه علاقـة أبويّـة تقــوم على التربيــة والتعليم ، والإرشــاد والتوجيه ، تنحصر علاقة الموظّف بالناس في نطــاق محــدود، من طبيعــة العمــل الذي يقوم به ، والمسئولية التي يؤدّيهـا ، ولا يطلب منه ما فوق ذلك ، ولا يسأل عنه ..

المبحث الثالث
علاقة الناس بالمعلّم والموظّف

لعلّ هذه النقطة تعدّ مكمّلة للنقطة السـابقة ، ويتجلّى خلالهـا مزيـد من الفـروق بين المعلّم والموظّف ، ففي النقطة السـابقة اسـتجلينا طبيعـة علاقـة التلاميذ بالمعلّم ، وعلاقة الناس بالموظّف ..

ـــ **ونبـدأ بعلاقـة النـاس بالموظّف** .. إنّها علاقة محدودة موقوتة لا تكـاد تبـدأ في أكـثر الأحيـان إلاّ لتنتهي ، ولا تكـاد تنشـأ إلاّ لتنقطـع ، وقـد يكـون فيهـا احتكاك وسوء تفاهم لسـوء خلـق في أحـد الطـرفين ، أو بعـد عن الحـق ، فتنتهي بشكوى ، أو بجفاء كل طرف للطرف الآخر ، وتبرّمه منه ..

ـ **أمّا علاقة التلاميذ بمعلّمهم** ؛ فهي علاقة أبويّة حانية ، ممتـدّة طويلـة ،

يقف فيها المعلّم موقف المربّي الموجّـه ، ويقــف فيهــا التلميــذ موقــف المتلقّي المتعلّم ، المسـتجيب المتـأدّب ، إذ يـرى معلّمـه أكـبر منـه سـنّاً وجسـماً في أكـثر الأحيان ، وأكثر منه علمـاً ، وأجـلّ قـدراً ، وينظـر إليـه نظـرة الأسـوة والاقتـداء .. وتبعــاً لــذلك ؛ فإنّــه يكنّ لــه الاحــترام والتقـدير ، على حسـب مـا تكـون هـذه الصـفات في المعلّم أتمّ وأكمـل ، وعلى حســب مـــا يكـــون المعلّم بعيـــداً عن الصـفات السـلبية ، الـتي تـنزع احـترام تلاميــذه لــه ، فلا ينظــرون إليــه نظــرة التأسي والاقتداء ..

وعلى قـــدر مـــا يخلص المعلّم في عملـه ، ويكـون قـدوة حسـنة لتلاميـذه ، ينظر إليه تلاميذه نظرة التقدير والاحــترام ، والتأسي والاقتداء ، ويعظم انتفاعهم به واستفادتهم منه .

ولا ننســـــى أن من إخلاص المعلّم في عمله أن يحـرص على نصـح تلاميـذه

وتـوجيههم وإرشـادهم في كـل مناسـبة ، وأن ينتهز كل فرصة مواتية لبثّ الفضائل في نفوســهم ، والتنفــير من الرذائــل ، والحثّ على معــالي الأمــور ، والنهي عن سفسافها ..

وتتبع علاقة التلاميذ بـالمعلّم علاقـة آبائهم وإخـوانهم وأوليـاء أمـورهم ، وهم الـذين يمثّلـون روابـط التلميـذ الأسـريّة والاجتماعيّــــة ، وتنعكس ســــلبيّاتها وإيجابيّاتهـا على تكـوين التلميـذ وسـلوكه وأخلاقه .

ويلاحـظ في هـذا المقـام أن كثـيراً من أوليـــــاء الأمــــور ، على اختلاف دوافعهم ، يقفـــون من المعلّم كوقفـــة التلاميـــذ من معلّمهم .. مسترشـــدين مستنصـحين ، يتقبّلـون بصـدر رحب مـا يوجّـه إليهم من انتقـادات ، تعـود إليهـا أسباب تقصـير الطـالب في دراسـته ، أو

إهمالــه في واجباتــه ، أو عــدم تهــييء الظروف المناسبة لجدّه واجتهاده .

وهنا يبرز الـدور الاجتمـاعيّ للمعلّم في التــأثير والتوجيــه أبعــد من نطــاق المدرسة وحـدودها وأوسـع ، فكلّمـا كـان تعاون الأسرة مع المدرسة وروابطها بهـا أوثق كان التاثير الاجتمـاعيّ للمعلّم أكـبر وأظهر .

وإذ كــــان كثــــير من المعلّمين لا يجاملون أوليـاء الأمـور ولا يـدارونهم ، بـل يصارحونهم ، ويتناولون تقصير الوالدين في مسئوليتهم ، ويقفونهم على نقائص التربيــة في بيـوتهم وأدوائهـا ، وسـلبيات تصـرفاتهم على ســلوك أبنــائهم ، ممــا يحــرج بعض الآبــاء ، وهم في كثــير من الأحــوال قــد خــرجت الأمــور من أيــديهم ، ولم يعــودوا يســتطيعون تلافي التقصــير ، أو تــدارك الخلل ، أو لا يريدون ذلك .. ولا يخفى أنّ من طبع الإنسـان الهـروب من المواقـف المحرجــة ممــا يــدفعهم إلى قطيعــة

المدرســـة ، والهـــرب من مراجعتهـــا ، وتجنّب التعـــرف على معلمي أولادهم ، والســؤال عنهم ، فيتخلّــون بــذلك عن مســئوليّتهم في التربيـــة والتقـــويم ، وتكميل دور المعلّم والتعاون معه .. وهذا ما تكثر الشكوى منه في مختلف مراحـل التعليم بصورة عامّة .

المبحث الرابع

المُعلّم في مفهوم الإسلام

إنّ أعظم مهمّــات البعثــة النبويــة الــتي قــام بهــا النــبي خــير قيــام ، هي المهمّة الـتي حُـدِّدت أصـولها المنهجيّـة ، وميادينها التربويّة بقول اللـه تعـالى : (ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ) الجمعة ، وكذلك مثيلات هذه الآية الكريمة في كتـاب اللـه تعـالى [1] .

[1] (?) ـ ينظـر مـا كتبـه حـول هـذه الآيـة الـدكتور ماجـد عرسـان الكيلاني في كتابـه : " تطـور مفهـوم النظريـة التربويـة الإسـلامية ، ص /37/ فمـا بعـد ، وقـد توسـع توسعاً كبيراً في تحليـل مضـامين هـذه الآيـة . ومـثيلات هذه الآية جاءت في سـورة البقـرة : /129 و 151 وآل عمران : 164/ .

فقد حددت هذه الآية الكريمة ثلاث مُهمّات كبرى للرسول ﷺ :

1 ــ مهمة التبليغ والبيان ، وتعريف الإنسان بمصدر التلقي ومنهجه ، وربطه به ، وتوضيح علاقته بهذا المنهج ، ومسئوليّته عن السعي ضمن حدوده وإطاره، وهي المهمة التي يشير إليها قوله تعالى : (ﭨ ﭩ ﭪ) .

2 ــ مهمة التربية والتعليم والتزكية ، ويشير إليها قوله تعالى : (ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ) ، وتشمل التزكية : **جميع الدراسات النظريّة التي تحتاجها التزكية ، وتتّصل بها ، والتطبيقات العمليّة لها ، كما تتنوّع إلى تزكية النفس ، وتزكية العقل ، وتزكية الجسم** .

ـــ وحقيقة التزكية تتلخّص في : **تعزيز المرغوب فيه في**

السلوك الإنسانيّ ، وانتزاع غير المرغوب فيه ، وقد لخّصها علماء التربية الربّانيّين بكلمتي : " **التخلية والتحلية** " ، فهي عمليّة تقويم وتعديل للسلوك الإنسانيّ في كلّ جانب من جوانبه [1] .

3 ـ مهمة العمل والتطبيق والتنفيذ ، ويشير إليها قوله تعالى : (ﯓ ﯔ ﯕ) .

" والحكمة لا يمكن خروجها عن معنيين هما : **العلم ، وفعل الصواب** ، فهي من ثمّ تنقسم إلى حكمة نظرية ، وحكمة عملية ، ولابدّ من اجتماعهما في السلوك الكامل " [2] .

(?)[1] ـ المرجع السابق ص /41/ بتصرف وزيادة .

(?)[2] ـ انظر : تفسير الإمام الرازي 2/347/ و 2/283/ في تعريف له جامع للحكمة ، وانظر : " المدخل إلى علم الدعوة " ص / 17 / ، بتصرف ، وقد اعتمدت في هذا التقسيم عليه .

ومن أحسن وأجمع ما جاء في تعريف الحكمة قول الإمام النووي رحمه الله تعالى : " **إنّها العلم المتّصف بالإحكام ، المشتمل على المعرفة بالله تعالى ، المصحوب بنفاذ البصيرة ، وتهذيب النفس والأخلاق ، وتحقيق الحقّ والعمل به ، والصدّ عن اتِّباع الهوى الباطل ، والحكيم من له ذلك** " [1] .

وينبغي أن يعلم أن تعليم الحكمة النبويّة يعني ألاّ يقف التعليم عند ظواهر الأمور ، فيقتصر بذلك على التلقين غير الواعي ، والاستظهار الأعجميّ ، وإنّما يربط بين الحقائق وحِكَمها وعللها ، ويستشرف التعرّف على مقدّماتها وأسبابها ، ليكون من وراء ذلك التعامل الواعي معها ، وإجراء أحكامها على أمثالها ..

---

[1] (?) ـ انظر فيض القدير للمناوي ، ج 3 ص /416/ .

ومن ثمّ فلابـدّ لنـا أن نتـذكّر عنـدما نتحـــــدّث عن مفهـــــوم " المعلّم " في الإســـلام : أنّ التربيـــة والتعليم ركن من **أعظم** أركان المهمّة التي بعث بها النبي ، والتي حددها الله تعالى في الآية التي ذكرناها آنفاً .

كما أشـار إليهـا النـبي في قولـه : (.. **ولكن بعثني معلّمـاً ميسّـراً** ...) [1] .

فالإســلام دين العلم ، والعلمـاء في مفهوم الإسلام هم ورثة الأنبياء ،كما جـاء في الحــديث الصــحيح : (**إنّ العلمـــاءَ ورَثـــةُ الأنبيـــاءِ ، وإنّ الأنبيـــاءَ لم يورّثــوا دينــاراً ولا درهمــاً ، وإنمــا**

---

[1] (?) ـ جزء من حديث طويل جاء في قصة تخيـير النـبي لنسائه ، رواه الإمام مسلم ، والإمام أحمد ، وفيـه : (إنّ اللـه لم يبعثـني معنفـاً ، ولكن بعثـني معلمـاً ميسراً ..) .

ورّثوا العلم ، فمن أخـذه أخـذ بحـظّ وافرٍ) [2] .

وهذا الحديث الشريف ، ومـا سـواه في فضـــل العلم ، وإن يكن يتحـــدّث في الأصـــل عن العلـــوم الشـــرعيّة ، ولكنّ العلوم الكونيّة تدخل فيه من حيث غايتها وأهــدافها ، ومن حيث نيّــة المســلم في تعلّمها ، ودرجة انتفاع الأمّة بها ، وميادين الأخذ بها واستخدامها ..

فــالعلوم كلّهــا ترتبــط بالإســلام ، وتتّصـــل بمعينـــه ومـــورده في أصـــلها وموضوعها كما في العلوم الشـرعيّة ، أو في روحهـا وأهـدافها ، كمـا في العلـوم الكونيّة ، ولا يعرف الإسـلام والمسـلمون ذلـك الفصـام النكـد ، ولا تلـك الخصـومة التي شـاعت في أوربـا حينـاً من الـدهر ، وهي لا تــزال تحكم تصــوّرات الغــربيّين

---

[2] (?) ـ جـزء من حـديث رواه أبـو داود /3641/و/3642/ والترمـذي /2683/ وأخرجـه ابن ماجـه/223/ وصـححه ابن حبان /80/ .

ومنطلقاتهم في الحياة ومـواقفهم ، وقـد تلقفهـــا بعض المتغـــربين من أبنـــاء المسلمين .

إنّ الإسلام لا يعرف تلـك الخصـومة بين الـدين والعلم .. والمسـلمون كـذلك في تاريخهم الطويل لا يعرفونهـا .. وإنّهـا لخصومة حقيقيّـة بين دين محـرّف يتـاجر بـه أربابـه .. وبين حقـائق كونيّـة ، كـان المسـلمون أسـرع الأمم إلى ارتيادهـا والتنقيب عنها ..

وإذا كانت الأمم تُعنى بتربية ناشئيها على العقيدة التي تؤمن بها ، فما أجـدرنا نحن أمّة الإسـلام ، حملـة الـدين الحـقّ ، أن نعتـني بـذلك غايـة الاعتنـاء ، لـترتكز نهضة أمّتنا التعليميّة على أسس راسـخة من عقيـدة الإسـلام ، ومبادئـه وقيمـه ، والتي من أهمّها :

1 ـــ غــرس الإيمـــان واليقين في صلاحية الإسلام لقيادة البشـريّة وهـدايتها في كلّ عصر ..

2 ـــ وتنميــة المشــاعر الإيمانيّــة ، وتربيـــة العواطـــف الإســلاميّة النبيلـــة ، وغرس القيم الإخلاقيّة السامية .

3 ـــ وبعث الـروح الإسـلاميّة الـتي تـــذكي في النفس طموحهــا إلى المثــل العليـا .. كي نسـتأنف الحيـاة الإسـلاميّة الصحيحة ، ونحقق الانتماء الحيّ إلى أمّة الإسلام ، فنكون كما وصفنا الله تعــالى : (ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ .. ﭨ) آل عمران .

وإنّ أيّ علم من العلــوم الكونيّــة ، الماسّـــة بحياتنـــا المعاصـــرة ، ينبغي أن يُتوخّى منه ، ويحمل في طياته بناء الفكر الإسلاميّ السليم ، وتحقيق روح الإسـلام وأهدافــه في بنــاء الإنســان المســلم ،

وتكوين الأمّة المؤمنة ، وصياغة المجتمع الإسلاميّ وتأسيسه على قيم الإسلام ومبادئه ..

وإنّ هذه الأسس لهي أسسٌ لكلّ العلوم التي يتلقّاها الطالب ، بدءاً من أدنى مراحل التعليم إلى أرفع مستوياته ، لا يستثنى من ذلك علم من العلوم أو مادّة من الموادّ ، ومن الخطأ البيّن أن تُتجاوز شخصيّة المدرّس واتجاهه الفكريّ وسلوكه العمليّ ، بدعوى أنه يُعلِّم علماً من العلوم الدنيويّة ، فنقبل بذلك تجاوز الأسس والأهداف الكبرى ، والتفريط بها على حساب الأهداف الصغرى .. فنهدم بأيدينا ما ندّعي الإيمان به بألسنتنا .

وإنّ الدور التربويّ الذي يتوخّى من المعلّم ، والمهمّة العظيمة الذي تنتظر منه ، لا تقف عند أبواب منهج

دراســيّ محــدود .. ولا مســائل علميّــة معــدودة .. وإنمــا دوره أكــبر من ذلــك ، ومسئوليته أعظم : في تهذيب النفوس ، وتوجيه السلوك ، ورسم الحياة الإسلاميّة المثلى أمام الطالب ، وتحبيبه بها ، وحثّـه على بلوغها ..

ونخلص من ذلك إلى أن المعلّم في مفهوم الإسلام إنما هو معلّم وداعيــة ومــربٍّ وقــدوة .. لا تقتصــر مهمّتــه على تلقين علوم ، وتحفيظ مســائل .. وحشــو معلومات في رءوس الطلاب ..

وهـذا مـا يقتضـي أن تكـون للمعلّم صفات ومؤهلات تربويّة ، منها ما يتحقّــق بها في نفسه ، ومنها ما يظهر في علاقته وصـــلته بطلابـــه ، وتـــأثيره فيهم . وهي بمجملهـا تميّـزه عن الموظّـف المكلّـف بعمل محدود ، ومهمّـة معيّنـة .. وهـو مـا

سنتحدث عنه بإيجـاز في المبحث التـالي بإذن الله تعالى ..

المبحث الخامس

صِفاتُ المُعلّمِ ومُؤهلاتُه التربويّة

إنّ التربيـــة والتعليم قضــيّة دقيقــة دقّة النفس البشريّة في تركيبها وتقلّباتها ، وأوضــاعها واحتياجاتهــا .. إن لم يســلك المعلّم ســبيلها على هــدى وبصــيرة ربمــا أدّت إلى عكس النتائج المطلوبة ، والآثار المرجوّة ..

فكم من معلّم نفّـــر الطـــالب عن التعليم ، وصــدّه عن العلم ، وقطعــه عن المدرسة ؟!

وكم من معلّم أورث في قلـــــوب طلابه عقداً من المادّة الــتي يدرّســها ، لا تنسى ما بقوا على قيد الحياة ؟!

وكم من معلّم كــان ســبب انحــراف بعض طلاّبه وجنوحهم عن السبيل القويم

، الذي تتوخّى غرسه في نفوسهم مناهج التعليم .؟

إنّ التربية قوامها : علم وفنّ ، وموهبة وأخلاق ..

وهذا خلاصة ما جاء في القرآن الكريم ، والسنة النبويّة المطهّرة من العلم والحكمة والتزكية ..

ـ فأمّا العلم ؛ فلابدّ للمعلّم من أن يكون متمكّناً مما يريد تعليمه .. ملمّاً بجوانبه محيطاً بمسائله ، وتلك بدهيّة تحتاج إلى ذكر وتنويه ، ولكنّها لا تحتاج إلى مزيد بيان وتفصيل .. وقد قال الله تعالى متفضلاً على نبيّه [illegible] : ([illegible] ى ى ي ي [illegible]) النساء . فعلَّمه ربّه سبحانه ، قبل أن تكون مهمّته التعليم والتربية والتزكية ..

ثمّ كانت مهمّة النبيّ في أمّته كما قــال اللــه ســبحانه : (ٹ ڤ ڤ) الجمعة .

وينبغي أن نعلم أنّ الفرق كبـير بين التعليم الربّانيّ وبين تعليم البشر ، الـذي يقوم على بذل الجهد والمعاناة ، والتدرّج في كســب العلــوم ، واتّخــاذ الأســباب للتقـدّم فيهـا ، ويحتـاج تعليم البشـر إلى إعمال الفكر ، وقـوّة النظـر ، واسـتخدام الحواسّ والسـمع والبصـر ، فـإذا اسـتقرّ التعليم بعـــد ذلـــك في النفس ، وكـــان قاصــراً على هــذا المجــال كــان علمــاً ظاهريّــاً ، لا يزيــد على تثقيــف العقــل المادّيّ الذي يقف عند حدود الحياة الدنيا ولا يتجاوزها .. (ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ژ) الروم .

وأمّا التعليم الربّانيّ فإنّه يبْتـدئ منْ إيقاظ القلب ، وتقتَرن به ثقافـة العَقـل ، وكُلّمــا ازداد العقــل فيــه ثقافــةً ، ازداد

القلب يقظـــةً واســـتجابةً لنـــداء الحـــقّ ، ويكـــون تـــأثير التعليم الربّـــانيّ جليّـــاً في تهذيب النفس ، وسموّ شعورِها ، وصـــقل دوافعها ونوازعِهَا .

ـ وأمّا الفنّ ؛ فنعني به الأســلوب أو الطريقـــة ، الـــتي ينتهجهـــا المعلّم لنقـــل المعلومـــــات والحقـــــائق إلى طلابـــــه ، ليفهموهـــا ، ويتفـــاعلوا معهـــا ، ويســـتجيبوا لمقتضـــياتها ، ممـــا ينجح مهمّتـــه ، فتعطي أطيب الثمرات والنتائج ..

وربّ معلّم ذي معلومات واسعة لم يتّخـــذ الأســـلوب المناســـب لعرضـــها ، وتقريبهـــا إلى أذهـــان الطلاب ، فخـــاطبهم بمـــا يعلـــو على أفهـــامهم ، ويـــدقّ على إدراكهم .. فبقي العلم عليهم عصـــــــيّاً مستغلقاً ..

وربّ معلّم ذي أسلوب نـــاجح ، غـــير متمكن من معلوماتـــه ، رســـخّ في أذهـــان طلابه معلومات غير صحيحة .

فلا غـــــــنى للمعلّم المتمكّن عن الأسلوب الناجح المؤثر ..

ـ **وأمّا الموهبة** ؛ فهي الاســتعداد الفطــريّ ، والملكــات الخاصّــة ، الــتي يمنحها الله تعالى بعض عباده ، ويختصّهم بهــا ، ممّــا يــؤهّلهم للتعليم بــالفطرة ، فيكونـــون مبـــدعين في عملهم ، وعلى نجـاح أكـبر في مهنتهم ، ويـؤدّون رسـالة التعليم على أحسن وجه .

وشتّان بين معلّم مبدع موهوب في مهنتـه وعملـه ، وبين معلّم قـد لجـأ إلى هذه المهنـة لأنّـه لم يتقن مهنـة سـواها ، فهو لا يزال متأفّفاً منها متذمّراً .!

ـ وأمّا الأخلاق ؛ فلا يمكن أن تُتصوّر رســـالة المعلّم تـــؤدّى في المفهـــوم الإسلاميّ مجرّدة عن تمتّع المعلّم بقسط وافــر من الأخلاق الفاضــلة ، والصــفات الزكيّة الحميدة ، ولقـد أثـنى اللـه تعـالى

على نبيّــه صــلوات اللــه وســلامه عليــه أعظم الثناء بما منحــه من زكيّ الأخلاق ، فقال سبحانه : (ڱ ڲ ڳ ں ڻ) القلم .

وقال سبحانه : (ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ) آل عمران .

ــ وإذ كــان الحــديث عن صــفات المعلّم ومؤهّلاته التربويّـة ذا صـلة ماسّـة بـأخلاق المعلّم الخاصّـة ، فقـد آن لنـا أن نشــرع في تعــداد تلــك الصــفات دون الخوض في تفصيلاتها ، لأنّ ذلك يخرج بنا عن نطاق البحث وحـدوده ، ولا يسـمح بـه الاختصار الذي أخذنا أنفسـنا بـه ، فنقـول وبالله تعالى العون والتوفيق :

1 ـ إنّ أوّل صفات المعلّم ومؤهّلاته التربويّة : أن يكون قدوة حسنة لطلاّبــه ، وأن يستشعر ذلك في نفسه دائمــاً ، وأن

يحسّ طلاّبه أنّه قدوة حسنة لهم في كلّ قول أو عمل ، أو حركة أو تصرّف ..

ولابــدّ للمعلّم المــربّي أن يكــون متأسّياً برسول الله قبل أن يتطلّب من طلاّبه أن يتأسّوا بـه ، إذ كيـف يكـون في سلوكه قدوة لطلاّبه إن لم تكن له أسـوة حسنة يقتدي بها ويهتــدي .؟! **ولا أسوة أعلى وأجلّ من النبيّ** ..

2 ـــ أن يتفنّن المعلّم في غـــرس الحبّ في نفوس طلابه ، وأن يشعرهم أن حبّه لهم هو الدافع للاهتمام بهم ، ومتابعتهم ، والعتب على المقصّـر منهم ، بـل والزجـر والعقوبـة أحيانـاً .. بمَـا تقتضـيه الحكمـة عليــهِ ومــا تمليْــه ، وذلــك ليكــون الحبّ متبــادلاً بين المعلّم وطلابـــه ، وليكمـــل اســـتعداد الطلاب للتجـــاوب والجـــدّ ، ويتوجّهوا للاجتهاد والعمل .

فإذا أحبّ التلميذ معلّمه حرص بكلّ جهده على إرضائه ، وسارع إلى تنفيذ توجيهاته ورغباته ، وأقبل على العلم بكلّ شغف وهمّة ، فكان في ذلك فلاحه ورشده ..

فالحبّ يسبق التعليم والتوجيه ، ويتقدّم عليه ، وهذا ما أرشد إليه النبيّ في هديه وتوجيهه ففي الحديث الصحيح : (أخذ رسول الله بيد معاذ بن جبل وقال له : (**يا معاذ ! والله إنّي لأحبّك ! أوصيكَ يا معاذُ ! لا تَدَعنّ في دُبُرِ كلّ صَلاةٍ تَقُولُ : اللهمّ أعنّي على ذِكرِكَ وشُكرِكَ وحُسنِ عِبادتِكَ**) [1] .

ـــ ولا ننسى أن مباسطة المعلّم لطلابه ، وقربه النفسيّ منهم ، له أثر

---

[1] (?) ـ رواه أبو داود والنسائي بإسناد صحيح كما في الأذكار للإمام النوويّ /69/، وفي رواية أنّه كرّر **له : والله إنّي لأحبّك ثلاث مرّات** .

كبير في غرس حبّه في أنفسهم ، وجذب قلـوب الطلاب إليـه ، ومسـارعتهم إلى الطاعـة والامتثـال ، ومحبّـة المـادّة الـتي يتعلمونها .. وتلك حقيقة واضـحة لا ينبغي أن يغفل عنها المعلّمون المربّون ..

فمن شـمائل الرسـول : " **مَن رآهُ بديهـةً هابـه ، ومَن خالطـه معرفةً أحبّه** " [1] .

وكـان يشـعر جليسـه ، بأنّـه أحبّ النـاس إليـه ، لمـا يـرى من تواضـعه ومباسطته ، وإقباله بوجهه واهتمامه ..

3 ـ تفقد أحوال الطـالب ، ومعرفـة ظروفه النفسيّة والاجتماعية ، وما يواجـه من عقبـات ومشـكلات ، ومسـاعدته في حلّها وتذليلها ما أمكن ..

---

[1] (?) ـــ رواه الترمـذي في الشـمائل ص /21/ ، وفي السنن في المناقب برقم /3642/ .

وإذا كـــان ذلـــك في نظم التعليم المعاصــرة من مسـئوليّات **" المرشــد الطلاّبي "** فإنّــــه في الأصـــــل من مسئوليّة المعلّم المربّي ، ونظراً لقصــور كثـــير من المعلّمين عن التأهّــل لهـــذه المسئوليّة فقـد أصـبحت اختصاصـاً ينـاط بمن يتفرّغ له ، ويتحمّـل أعبـاءه ، كمـا لا يخفى أنّ العمـــل التعليميّ والـــتربويّ مسـئوليّة مشـتركة بين جميـع المعـنيّين بشَأنها ، القائمين على أمرها .

ولا يتأتّى للمعلّم أن يكون كذلك إلاّ إذا كان دقيق الملاحظة ، ذا فطنة ونباهة ، يحوط الطلاب ويرعاهم ، ويلاحظ حركات ، ويرصد مـواقفهم ، وينتبـه لتكـرار بعض المواقـــف والتصـــرفات منهم ، فتهمّـــه ويسعى إلى اكتشـاف أسـبابها ، ومعرفـة مـــا وراءهـــا .. ويـــرى ذلـــك جـــزءاً من مسئوليّته ومهمّته ..

وإنّ بعض المعلّمين لتقتصر علاقته مع طلابه على علاقة رسميّة شكليّة ، جافّة في كثير من الأحيان ، يلقي درسه ، ويقوم بأعمال رتيبة ، ثمّ ينصرف لم يفكّر يوماً ما أن يتفقّد أحوال طلابه ، أو يعرف ظروفهم وأوضاعهم .. ونتيجة لذلك فقد يقع منه الظلم لبعضهم ، وسوء التفسير لمواقفهم .. لأن جانباً كبيراً من أوضاعهم قد خفي عنه ولم يعرفه ..

4 ـ ومن صفات المعلّم ومؤهّلاته التربويّة : أن يحرص ما استطاع على الطالب ، ويهتمّ به ، وقد سجّل القرآن الكريم هذه الصفة للمصطفى صلوات الله وسلامه عليه ، فقال سبحانه : (ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ) التوبة .

وإنّ التعليم لمسئوليّة جليلةٌ ، سوفَ يُسأل المعلّم أمامَ الله تعالى عما

اســترعاه من رعيّتــه ، فلابــدّ للمعلّم أن يعمّق في نفسه الشعور بهذه المسئوليّة ، ليعطيها حقّها ..

ولقـــد بلـــغ من حـــرص النـــبي واهتمامــه بقومــه ، أن تــنزّلت آيــات من القرآن الكريم تأمره ألاّ يحمّل نفسـه من الأمر ما لا يطيق : (ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ) الكهف .

وقال تعالى : (ٻ ٻ پ پ پ پ ٺ) الشعراء .

وقال سبحانه : (.. ں ں ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ہ ہ ہ) فاطر .

5 ــ المتابعــة الدقيقــة ، والتوجيــه المستمر ، والصبر والدأب ، وعدم الملل أو السأم ، إذ إنّ التربية عمليّـة مسـتمرّة متجـــدّدة ، لأنّ النفس البشـــريّة دائمـــة التقلّب ، متعـــدّدة المطـــالب ، متشـــعبّة الاتجاهات ، متنوّعة الاهتمامات .

فالتوجيه يحتاج إلى متابعة ، والحالة المستجدّة تحتاج إلى توجيه جديد ، ثمّ التوجيه الجديد يحتاج إلى متابعة .. ثم المعاني القديمة في التوجيه تحتاج إلى تذكير وتجديد ، وإعادة بحث وتأكيد .. وهكذا .!

وتلك حاجة فطريّة يدركها كلّ عاقل من نفسه ، ويحسّ بها ويلاحظ آثارها ، وقد قال الله تعالى : (ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ج) الذاريات .

وقال سبحانه : (ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ) الأعلى .

ومن لم يفقه هذه الطبيعة في النفس البشريّة سارعت إليه الملالة ثم السأم ، فالقنوط من التربية والاصلاح .. ثم يتحوّل في عمله إلى موظّف لا روح عنده ، ولا تأثير في كلامه ..

ـ ومن هنا جاء التوجيه القرآنيّ الكريم : (ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ
ﯞ ﯟ ﯠ) طه .

فالأمر بالصلاةِ يحتاج إلى الاصطبار ، وهو أبلغ من الصبر ، والاصطبار على الأمر بالصلاة من التقوى ، التي يَعِدُ الله المتحقّق بها أحسن العواقب .

ـ وفي وصيّة لقمان لابنه وهو يعظه : (ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ
ﯺ ﯻ) لقمان .

6 ـ ملاحظة الفروق الفرديّة بين الطلاب ، ومراعاتها في التعامل : تعليماً ، وتربية ، ومتابعة ورعاية .

وقد أشار القرآن الكريم إلى قضيّة الفروق الفرديّة في مناسبات عديدة ، منها قوله تعالى : (ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ) آل عمران .

وجــاء في الحـــديث عن عليّ : " حـدّثُوا النـاسَ بمـا يعرفـون ، أتحبُّون أن يُكذِّبَ اللهُ ورسولُه .؟ـ! " [1] .

وفي الحديث أيضاً : " أنزِلُوا الناسَ منازلهم " أو : " أمرنـا رسـولُ اللـهِ أن نُنزِل الناسَ منازلهم " [2] .

7 ــــ أن يكـــون المعلّم متحلّيـــاً بالحكمـــة في شخصـــيّته وســـلوكه ، وتصرّفاته ومواقفه .

وتعليم الحكمـــة والســـير على مقتضـــاها من أعظم مهـــامّ البعثـــة المحمّديّة كما مرّ بنا قريباً ، قال تعـالى : (..   .. ى) آل عمران .

---

[1] (?) ـ رواه البخاريّ عن عليّ موقوفاً ، وروي مرفوعاً وبألفــاظ أخــرى ، انظــر كشــف الخفــاء : 1/421 و 225 / .

[2] (?) ـ رواه مسلم في مقدّمة صحيحه ، ورواه أبو دادود ، انظر كشف الخفاء : 1/421 .

وهي خير ما يُعطي اللـه عبـاده من الخير والفضـل والتوفيـق ، قـال تعـالى : (ې ى ۑ ۑ ۓ ۓ [illegible]) البقرة .

ـ وميدان الحكمة واسع فسـيح ، لا تحـدّه الكلمـات ولا تحكمـه سـاحات السـطور ، في الـوقت الـذي فاضـت بـه جـوانب السـيرة النبويّـة العطـرة ، على صـاحبها أفضـل السـلام ، وأزكى التحيـة ؛ ولكنّنـا نشـير إلى أهمّ مظـاهر الحكمـة ، التي ينبغي أن يتحقّق بهـا المعلّم المـربّي ، في تصرفاته وسلوكه :

ــ فمن الحكمة ؛ بعـد النظـر ، واتـزان المواقـف ، وضـبط النفس ، فلا يجمح بـالمعلّم الهـوى ، ولا يسـتفزّه الغضـب ، ولا يخـرج بـه عن العـدل والانصـاف ، والـدفع بـالتي هي أحسـن ، والحلم وكظم الغيـظ ، وحفـظ اللسـان وحسن التصرّف ..

ــ **ومن الحكمة** ؛ التربيــة بالحــال والسلوك قبل المقال ، والاستغناء بالاشارة عن العبارة ، وبــالتلميح عن التصــريح .. مــا أمكن ذلك ..

ـــ **ومن الحكمة** ؛ إيثـــار الأرفـــق والأيسر ، مالم يكن إثمــاً ، والتغاضــي مــا أمكن ذلـــك ، بلا تفريـــط فيمـــا يجب ولا تضـــييع ، وقـــد كـــان من هـــدي النـــبيّ وشــمائله : " **مَـا خُيِّرَ رَسُـولُ اللـهِ بَيْنَ أَمْرَيْنِ إلاّ أَخَذَ أَيْسَـرَهُمَا مَـا لَمْ يَكُنْ إِثْمًا ، فَإِنْ كَانَ إِثْمًا كَـانَ أَبْعَـدَ النَّاسِ مِنْهُ ، وَمَا انْتَقَمَ رَسُولُ اللـهِ لِنَفْسِـهِ إِلاّ أَنْ تُنْتَهَـكَ حُرْمَـةُ اللـهِ فَيَنْتَقِمَ للهِ بِهَا**) ، كمـا تقـول السـيّدة عائشة أمّ المؤمنين رضي الله عنها [1] .

وفي الحــديث الصــحيح : (**عَلَيْـكِ بِالرِّفْقِ ، فإِنَّ الرِّفْـقَ لا يَكُـونُ فِي شَيْءٍ إِلاّ زَانَهُ ، وَلا يُنْزَعُ مِنْ شَــيْءٍ**

---

[1] (?) ـ رواه البخاريّ /3296/ .

إلاّ شَانَهُ) [2] . ومعنى شَانَهُ أي عابه وانتقصه .

ـ **ومن الحكمة** ؛ مراعاة الضعف البشري ، وتقدير تقلبات النفس بين القوة والضعف والصحة النفسية والمرض .. والمطالبة بالقدر الوسط الذي يناسب الأكثريّة ، والواقعيّة وعدم الجنوح إلى مثالية مرهقة للنفس ، بعيدة عن الواقع ..

ـ **ومن الحكمة** ؛ أن يعتمد المعلّم الأسلوب غير المباشر في التربية والتوجيه فيما يناسب ذلك ، ويبتعد عن توجيه اللوم المباشر ، أو الإكثار من التأنيب والتقريع ..

ـــ **ومن الحكمة** ؛ ربط التعليم والتربية بالواقع واتّصاله به .. إذ إنّ كلّ ما يربط بالواقع تتفاعل به النفس ويحفظ ، ويُقبل ويُؤلَف .. وكلّ ما سبق له أدلّته الكثيرة من سيرة النبيّ

---

[2](?) ـ رواه مسلم عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها /2593/ .

وهديــه ، وأخلاقه العطــرة وحكمتــه ، ويطول بنا القول لـو ذهبنـا نـدلّل عليـه ، ونستشهد له .

ــ **ومجمـل القـول** : إنّ العمـل التربويّ ، والجهـاد التعليميّ ليس الواحـد منهما مجـرد أوامـر ونـواهٍ تصـدرها جهـة عليا إلى جهة دنيا .. كـالأوامر العسـكريّة لا خيــار للجهــة المتلقيــة عن الطاعــة والانقياد ، والالـتزام والتنفيـذ .. إنّ التعلّم تفاعل مسـتمرّ ، وحـوار بنّـاء بين المعلّم والمتعلّم ، إنّــه عمــل يعتمــد أوّلاً على غرس المفاهيم والإقنـاع بهـا ، والـترغيب في التزامهــا ، وبيــان عاقبــة تركهــا أو مخالفتها ..

إنّه بكلمة موجزة : عمـل يعتمـد في نجاحــه على قــدرة المعلّم المــربّي على فتح العقول والقلوب ، والتأثير فيهـا بإذن الله تعالى .

وإنّ السرّ وراء الإخفاق التعليميّ أو التربوي في حياة بعض المعلّمين ، إنّما يعود إلى ممارسة التربية والتعليم على أنّها أوامر تلقى ، ونواهٍ ينهى عنها ، لا اجتهاد فيها في بلوغ غاية ، أو اجتناء ثمرة ، ولا تفنّن فيها بما يبلغ القلوب ، ويُليّن عَصيّ النفوس ..

وبعد ؛ فإن لم يتحقّق المعلّم بهذه الصفات التربويّة المؤهّلة ، ويكن على قدر معقول منها ، في نفسه وسلوكه وعلاقته ، فإنّه لن يكون إلاّ موظّفاً ، أو أشبه بالقائد العسكريّ ، الذي لا يعرف إلاّ إلقاء التعليمات والأوامر ، ولابدّ له لبلوغ هذه الغاية من العصا الغليظة ، التي يهدّد بها في كلّ لحظة .. ولن يكون بعد ذلك إلاّ مخفقاً في مهمّته ، قاصراً عن أداء رسالته ، ولعلّ هذا من أسباب إصرار بعض المعلّمين على اتّخاذ العصا وسيلة وحيدة للعقاب يلجأون إليها في

كلّ موقف .! ولكن ؛ **هل نستطيع أن نتصوّر معلّماً تحقّق بهذه الصفات الآنفة الذكر .. ثمّ كان بعد ذلك موظّفاً أو شبه موظّف ..؟**

إنّنا لا نستطيع الجواب سلباً أو إيجاباً إنطلاقاً من هذه الصفات التربويّة المؤهّلة ، واكتفاء بها .. إنّها حقّاً صفات ضرورية لازمة ، ولكنّها غير كافية .. فهناك بعض الأمور الخارجة عن شخصيّة المعلّم واستعداده ومواهبه .. قد تهيمن على تصوّراته وتضغط على سلوكه ، فتضعف رسالته التربويّة، وتحوّله إلى موظّف ، يقوم بمهمّة روتينيّة قاصرة .. وهي موضوع حديثنا في النقطة التالية بإذن الله تعالى ..

المبحث السادس

أسبابٌ أخرُ تحوّلُ المعلّمَ إلى موظّف

إنّ هنــاك أســباباً أخــرى ، تحــوّل المعلّم إلى موظّف ، منهـا مـا يخـرج عن إرادة المعلّم ، ومنها ما يتّصل بشخصـيّته وتكوينه وواقعـه ، هـذه الأسـباب تُضـعف في نفس المعلّم شـــعوره برســـالته التربويّة ، ثمّ يزداد هذا الضعف في حياته ، فيتحوّل مع الأيّام عن رسالته المتميّـزة إلى موظّف ، يقـوم بعمـل روتيـنيّ آليّ ، فيفقــد الــروح في عملــه ، واللــذة في جهاده وتضحيته ..

ونعـدّد هـذه الأسـباب تعـداداً ، وهي تـدلّ على مـا وراءهـا وتلمح إليـه ، فمن هذه الأسباب :

1 ـ **فقـد التصـوّر الصـحيح عن الأهداف التربويّة العامّـة والخاصّـة من فهم المعلّم وشـــــعوره** ، أو

ضعفها أو الغفلة عنها ، أو ضـعف متابعـة المـــوجّهين المشـــرفين للاهتمـــام بهـــا وملاحظتهـــــا حين أداء المعلّمين لعملهم التربويّ .. والمعلّم بحاجـة ماسّـة إلى أن تقدّم له كاملـة موضّـحة ، وأن يـذكّر بهـا بين الحين والآخـر ، بـل بصـورة دائمـة .. وأن يعـــرف الآليّـات التربويّــة لتطبيقهـــا الميــــدانيّ من خلال عملــــه الـــتربويّ ، وعلاقاته المميّزة مع طلاّبه .

وإنّنـا لنجـد في سياسـة التعليم في المملكة العربيّة السعوديّة ما يوضّح لكـلّ معلّم هـــذه الأهـــداف ، ويضـــعه أمـــام مسئوليّته الشـرعيّة والمسـلكيّة لتنفيـذها وتحقيقها ..

وكثير من المعلّمين هم بحاجــة إلى أن تشـــرح لهم أبعـــاد هـــذه الأهـــداف ، وكيفيّة التعامل بها ، وتنزيلها على الواقـع التعليميّ والـتربويّ ، الـذي يقومـون بـه ويمارسونه يوميّاً ، ليكون عملهم محقّقـاً

لأهدافه ، مرتبطاً بغايته على أحسن وجه وأرفـــع مســـتوىً .. ثمّ هم بحاجـــة إلى المتابعة والتـذكير ، بـل والمحاسـبة على الإخلال بهـا أو تجاوزهـا ، وبخاصّـة من ناحية العمل والسلوك .

2 ـ **بُعـــــد بعض المعلّمين عن الالـتزام الإسـلاميّ** ، وفقـد الهـدف السـامي الـذي يعمـل لأجلـه من تصـوّره وسلوكه ..

3 ـ **ضـــعف مســـتوى بعض المعلّمين علميّاً وثقافيّـاً** ، ورضـاهم بمـا هم فيـه ، من تـدنّي المسـتوى ، وضحالة الفكر ، ثمّ تراهم لا يسـعون إلى رفـع مسـتواهم ، ولا يجـدون من طبيعـة النظـام التعليميّ وآليّـات عملـه مـا يطلب منهم ذلـك ، ممـا يجعلهم يعيشـون حالـة من التآكـل مـع الـزمن ، والتخلّـف عن مستوى العصر الذي يعيشون فيه ..

4 ـ **استمرار بعض المعلّمين في تدريس منهج معين** ، ولمستوى معين ، سنوات طويلة قد تبلغ عشرين سنة أو أكثر ، مما يورثه الملل ، ويحوّل عمله إلى عمل روتينيّ رتيب ، ويفقده التجديد في أسلوبه وطريقته ، ونرى بعض المعلّمين قد يعدّ ذلك خيراً له ، لأنّه يُعفيه من تعب التحضير الجديد ، وتركيز المعلومات وتجديدها.

5 ـ **كثرة الأعمال الشكليّة التي تطلب من المدرّس** ، وتأخذ وقته ، وتستهلك نشاطه ، وتضغط بأعبائها عليه ، فتشغله عن التفكير برسالته التربويّة وأهمّيّتها ، فضلاً عن أدائها والقيام بحقها على خير وجه ..

ومما يزيد في ذلك ، أن محاسبة المدرّس على عمله من قبل الإدارة ، ومن قبل الموجّهين الزائرين ، إنما تتركّز

بالدرجـــة الأولى على تلـــك الجـــوانب الشكليّة ، ويُقـوّم المـدرس من خلالهـا .. مما يكرّس في نفسـه أن هـذه الشـكليّات هي جـوهر عملـه ولبّـه ، وقصـارى مـا يطلب منه ، وأنّ ما يقال عن روح التربية والتعليم ، وأهـدافها التربويـة ، نافلـةٌ من القول وفضول ..!

وليس بعـد الواقـع العمليّ الـذي يسـأل عنـه المعلّم ويحاسـب عليـه من حجّة أوضح ، أو بيان أبلغ .

وثمّت ملاحظة أخيرة : إنّ أكـثر أنظمـة التعليم في البلـدان الإسـلاميّة تعتني بالشكل على حسـاب المضـمون ، وتـرجّح ظـواهر العمـل التعليميّ على أسسه ومبادئه ، ويهمّها " الكمّ " ، وتُقوّم النجـاح التعليميّ على أساسـه ، دون " الكيف " والنوعيّة " الـتي هي روح العمـل التربويّ ، وثمرته ولبّه ..

ومن هنـا يكلّـف المـدرس بأعبـاء تجعلـه يهمـل " **نوعيّـة مُهمّتـه وأهـدافها** " على حسـاب الوفـاء بالالتزامـات الشـكليّة الظـاهرة للعمـل ، والقيـام بهـا ، فيتـدنّى مسـتوى عملـه ، ويفقد روحه ولذّتـه ، ويتحـوّل هـو نفسـه إلى موظّف يقوم بعمل شكليّ مملّ ..

تلـك في تصـوّري ونظـري أظهـر الأسـباب الـتي تحـوّل " المعلّم " إلى " موظّف " .. وتحول بين المعلّم وبين أداء رسـالته التربويّـة على الوجـه الصـحيح المطلـوب .. وإنّ تـداركها ليحتـاج إلى تعـديل في نظم التعليم نفسـها .. ومراجعـة آليّـات العمـل والمتابعـة فيـه ، فما نهضت أمّـة من أمم الأرض ، إلاّ بعـد أن تـوجّهت عنايتهـا إلى التعليم ونُظمـه ، ومنطلقاتـه وأسسِـه .. وأسـاليب العمـل والمتابعـة ، ثمّ اعتنت بـالمعلّم الـذي هـو

أســاس نجــاح أيّ خُطّــة تعليميّــة ، وعمــاد
تنفيذها وتحقيق أهدافها ..

الفصل الثاني
آداب العالم والمتعلّم

إنّ أهمّ ما يميّز الحضارة الإسـلاميّة في كلّ جانب من جوانبهـا ، وفي ثقافتهـا وعلومهـا على وجـه الخصـوص : أنّهـا حضـارة القيم الإنسـانيّة الرفيعـة ، يـزيّن كـلّ شـيء فيهـا فضـائلُ سـاميةٌ ، وآدابٌ دقيقـةٌ ، تُضـفي عليهـا ثـوب الجمـال والكمال ، وحلية الحسن والبهاء ، وتجعل الحياة في رحابها تشعّ بـالخير والعطـاء ، وتبلـغ أعلى مـا يتصـوّر لهـا من رفعـة ومجـد ، وتحقّـق أَقصـى مـا تطمح إلَيـه النفس البشـرِيّة من السـعادة للفـرد والجماعة ..

ذلك لأنّهـا ربانيّـة المصـدر ، واقعيّـة الاتّجاهات ، تستمدّ قيمهَـا ومفاهيمهـا من كتاب الله تعالى ، وسـنة نبيـه ، فثقافـة

حضارتنا التي تبـنى على أسـاس الإيمـان بالله واليوم الآخر ، تهتمّ بغايات الأشياء ، وأصـــولها الراســـخة ، وهي تجمـــع بين الغايات والوسائل ، وبين العلم والإيمان ، وَبين الحـــقّ وَالخـــير ، وبين الكمَـــال والجمال ولا تجعل الـدين بـديلاً عن العلم والحضـارة ، ولا عـدوّاً لهمـا ، وإنمـا هـو الإطار والمحور ، والغاية والمنهج ، الـذي تحكَمُ شُـئون الحيـاة كلّهـا من خلالـه .. بينما تقوم الثقافة الماديّـة على الأسـباب المادّيّـة والمظـاهر ، وتقتصـر مقاصـدها على الوصول إلى المنفعة الخاصّة ، ولـو كـان ذلـك بتعطيـل مصـالح الجماعـة وإهدارها.

ومن ثمّ فقد كان الأدب في الإسلام شعارَ المسلم ودثـاره ، وتاجَـه وفخـاره ، في كلّ شأن من شئون حياته.

وإنّ من الخــداع والتلــبيس ، أو من الجهل وسطحيّة الفهم ـ: أن نضــع المنهج الإلهيّ في كفــة ، والإبــداع الإنســانيّ في عالم المادّة والحياة في كِفّة أخــرى .. ثمّ نطلب من الإنســان أن يــوازن بينهمـــا ويختار .. فيظن أنّه أمــام معادلــة مُســلّم بها .. فيقع في شرَك أعداء الله ، وأعداء الإنسانيّة على حدّ سواء ..

إنّ شـــقاء الإنســـانيّة اليـــوم في انفصــال العلم عن الإيمــان ، وانفصــال المؤسســـات التعليميّـــة والفكريّـــة عن الأخلاق والقيم ، والغايـــات الصـــالحة الســـامية .. ومـــا لم نتــدارك ذلــك في تعليمنـــا وتربيتنـــا ، ونعـــود إلى أصـــالتنا الثقافيّـــة المتميّـــزة ، فإنّنـــا مهـــدّدون بالذوبان في أحماض هذه المدنيّة الزائفة ، وتمزّقاتها المشوّهة ..

لقد أبدعت هذه المدنيّة **" آلات "** ، ولكنّها لم تستطع السيطرة عليها ، لأنّ حضارتها لم تقم على القيم الحقّة ، وإنما قيمها ماديّة نفعيّة بحتة .. فصارت الحياة أرقاماً وآلات ، وملوّثات وغازات ... وأصبحت السعادة مقيسة بعدد ما لديها من وحدات حراريّة ، وإمكانات مادّيّة ، وصار العصر عَصْرَ كَمٍّ يخضع الضمير فيه للتنافس الكميّ ، كما صار عصر النسبيّة الأخلاقيّة ، فلم يعد أحد يدرك معنى الفضيلة المطلقة ، أو مفهوم العدالة الحقّة .. وانحطّت الحياة الاقتصاديّة عندما احتكم الناس إلى المنطق القائل : **" الحقّ لمن غلب "** ، وعندما أصبحت فلسفة التجارة : أنّها السرقة الحلال ..

أمّا ثقافتنا الإسلامية ، فهي ربّانيّة المصدر والهدف ، إنسانيّة النزعة والمبدأ ، عالميّة الأفق والرسالة ، روحها

الآداب الـتي تحكمهـا ، وتجمّـل حـدودها وحقائقها ، وتزن بوادرها وشواردها ..

ـ حكى الأصمعي رحمه الله تعالى :
أنّ أعرابياً قال لابنه : **" يـابني ! الأدب دعامة أيّد الله بها الألباب ، وحليـة زيّن اللـه بهـا عواطـل الأحسـاب ، فالعاقـل لا يسـتغني وإن صـحّت غريزته عن الأدب المخرج زهرتـه ، كما لا تسـتغني الأرض وإن عـذبت تربتها عن الماء المخرِج ثمرتَها " .**

فما خلقَ الله مثلَ العُقول

ولا اكتسبَ النـــاسُ مِثل الأدب

وقال الإمـام المـاورديّ رحمـه اللـه تعالى في كتابه : " **أدب الدنيا والدين** " :

" اعلم أنّ النفسَ مجبولةٌ على شــــِيمٍ مُهملــــة ، وأخلاق

مُرسلة ، لا يستغني محبوبها عن التأديب ، ولا يُكتفى بالمرضيّ منها عن التهذيب ، لأنّ لمحمودها أضراراً مقابلة ، يسعدها هوى مطاع ، وشهوة غالبة ، فإن أغفل تأديبها تفويضاً إلى العقل ، أو توكّلاً على أن تنقاد إلى الأحسن بالطبع ، أعدم التفويض درك المجتهدين ، وأعقب التوكّل ندم الخائبين ، فصار من الأدب عاطلاً ، وفي صورة الجهل داخلاً ، لأنّ الأدب مكتسب بالتجربة ، أو مستحسن بالعادة ، ولكلّ قوم مواضعة ، وكلّ ذلك لا ينال بتوقيف العقل ، ولا بالانقياد للطبع ، حتّى يكتسب بالتجربة والمعاناة ، ويستفادة بالدربة والمعاطاة ، ثمّ يكون العقل عليه

قيّماً ، وزكيّ الطبع إليه مُسـلّماً ..
" .

ـ وبعد : فلقـد أخـذ سـلفنا أبنـاءهم بالأدب في كل شأن من شـئون الحيـاة : في العلاقة مع الله تعـالى ، وفي تهـذيب النفـوس وتزكيتهـا ، وفي العلاقـة مـع الناس ، بـدءاً بالوالـديْن والقرابـة ، وكـلّ ذي رحمٍ ، إلى الجـيران والأصـحَاب ، وانتهاءً بالعلاقة مـع النـاس كـلّ النـاس ، ولو كانوا أعداءً محاربين فقانون الحرب معهم له آدابه التي تحكمه وتلجمه ..

فمن ثمّ فقد كانت مجتمعات سلف هـذه الأمّـة متماسـكة البنيـان ، وطيـدة الأركان ، تقوم العلاقـة بين أفرادهـا على أوثـق العـرا ، وأزكى الروابـط ، وكـانت صورة مجتمعاتهم وطبيعة علاقاتهم دعوةً إلى الإسـلام حيّـة مـؤثّرة في أبنـاء كـلّ

الملـل ، وأهـل الأديـان ، الـذين اختلطـوا بهم ، أو تعَاملوا معهم ..

ولا بدّ لنا من إحياء هـذه الـروح في تربيتنـــا وتعليمنـــا ، لـــتزدهر مجتمعاتنـــا ، وتترســـخ دعـــائم نهضـــتنا ، ولا يخفى أنّ متعلّمي اليــوم ، هم معلّمــو الغــد ، وأنّ مسـتقبل مجتمعاتنـا إنّمـا تصـنعه النخبـة المعلّمة في يومنا ..

ـ هذا وقد رأيت أن أتحدّث عن هـذا المبحث في ثلاثة مباحث :

ـ المبحث الأول : آداب المُعلّم وأخلاقه .

ـ المبحث الثـــاني : أهمّ آداب المُتعلّم .

ـ المبحث الثـــــالث : آداب المُناقشات العلميّة .

المبحث الأول
آداب المُعلّم وأخلاقه

1 ـــ أن يقصد بتعليمه وجه الله تعالى ، ولا يريد ممن علّمه جزاءً ولا شكوراً ، بل يشعر بمنّة الله عليه أن سخّره لخدمة العلم وأهله وطلابه .. قال الله تعالى ممتنّاً على نبيّه : (..   ى ى ي ي   ) النساء .

ـ وأن يطلب ثواب الله تعالى بما يقوم به من جهد ، وما يقدّمه من إرشاد وتوجيه ، فثواب الأعمال ، وبركتها على عامليها إنما يكون على قدر حسن النيّة وصحة المقصد ، ففي الحديث الشريف : (**إنّما الأعمالُ بالنيّاتِ ، وإنما لِكلّ امرئٍ ما نوَى** ..) [1] .

---

[1] (?) ـ جزء من حديث مشهور رواه جمع من الحفّاظ منهم البخاري 1/7 و15 ومسلم /1907/ .

والإخلاص في التعليم شعار السادة المرسلين عليهم الصلاة والسلام : (ث ٺ ٺ ٺ ٿ ٽ ٹ ٹ ٹ ٹ ڑ) ص ، وينبغي أن يكون كذلك شعار العلماء والمعلّمين ، الذين هم ورثة الأنبياء وحملة علومهم ..

2 ــ الشفقة على المُتعلّمين والرفق بهم ، وتقدير استعداداتهم وتحمّلهم ، كشفقة الآباء على الأبناء : ففي الحديث الشريف : (**تعلّمُوا العِلمَ ، وتعلّمُوا للعلمِ السكينةَ والوقارِ ، وتواضعُوا لمن تَتعلّمُون منهُ**) .

ــ ومن الشفقة على المتعلّم والرفق به : تيسير العلم عليه ، بحسن أدائه وجودة إلقائه ، فقد كان النبيّ ﷺ إذا تكلّم كلمة أعادها ثلاثاً حتّى تفهم عنه ..

ـ ومن الشفقة : بذل المجهود في التوجيه والنصح والمعونة ، فإنّ ذلك أعظم للأجر ، وأسنى للذكر ، وأنشر للعلم ..

ـ ومن الشفقة على المتعلّم : ألاّ يكثر عليه في المجلس الواحد .. فقد كان عبد الله بن مسعود يذكّر الناس كلّ خميسٍ ، فقال له رجل : " يا أبا عبد الرحمن ! لوددتُ أنّك ذكّرتنا كلّ يوم .!

" قال : ـ أما إنّه يمنعني من ذلك أنّي أكره أن أملّكم ، وإنّي أتخولّكم بالموعظة ـ أي أتعهّدكم بها وقتاً بعد وقت ـ

كما كان النبيّ يتخوّلنا بها مخافة السآمة علينا .." [1] .

ــ ومن الشفقة على المتعلّم والرفق به : الالتزام بمنهج الشرع في التأديب والتهذيب ، وعدم تجاوز ذلك انسياقاً وراء العادات والأعراف ، أو استجابة لردود الفعل على مواقف الناشئ ، وما قد يصدر عنه من طيش أو قصور .. إذ إنّ ضرر ذلك على الناشئ لا

---

[1] (?) ـ رواه أحمد 1/427/ .

يوصف ولا يقدّر ، وربّما كان ذلك سبب تركه لسبيل العلم ممّا يُغيّر منحى حياته ، ويغلق المستقبل المزدهر في وجهه ، ثمّ لا يزال يذكر أستاذه الذي كان سبب ذلك بالسوء والشعور بالظلم ..

يقول الإمام ابن خلدون رحمه الله : " **من كان مرباه بالعسف والقهر من المتعلّمين أو المماليك أو الخدم سطا به القهر ، وضيّق عن النفس في انبساطها ، ودعاه إلى الكسل ، وحمله على الكذب والخبث ، وهو التظاهر بغير ما في ضميره خوفاً من انبساط الأيدي بالقهر عليه " .**

وقد روي عن عمر بن الخطّاب أنّه قال : **" من لم يؤدّبه الشرع لا أدّبه الله "** ، والمقصود بهذه الكلمة الالتزام بما حدّه الشرع من نوع التأديب

وقـــدره ، " **حرصـــاً على صـــون النفوس من مذلّة التـأديب الخـارج عن الحـدّ الشـرعيّ ، لأن المقـدار الذي عيّنه الشرع لذلك أملـك لـه ، لأنّه أعلم بمصلحته** " .

ويقول الإمـام ابن خلـدون أيضـاً : " **ومن أحسـن مـذاهب التعليم مـا تقـدّم بـه الرشـيد لمعلّم ولـده الأمين ، فقال : يا أحمر ! إنّ أمـير المؤمـنين قـد دفـع إليـك مهجـة نفسـه وثمـرة قلبـه ، فصـيّر يـدك مبسـوطة ، وطاعتـه لـك واجبـة ، وكن لــه بحيث وضــعك أمــير المؤمنين ، أقرئه القرآن ، وعرّفـه الأخبـار ، وروّه الأشـعار ، وعلّمـه السـنن ، وبصّـره بمواقـع الكلام وبدئه ، وامنعه من الضـحك إلاّ في أوقاته ، وخذه بتعظيم مشايخ بني**

هاشم إذا دخلوا عليه ، ورفع مجالس القوّاد إذا حضروا مجلسه ، ولا تمرّنّ بك ساعة إلاّ وأنت مغتنم فائدة تفيده إيّاها ، من غير أن تحزنه فتميت ذهنه ، ولا تمعن في مسامحته فيستحلي الفراغ ويألفه ، وقوّمه ما استطعت بالقرب والملاينة ، فإن أباهما فعليك بالشدّة والغلظة " [1] .

3 ـ **ومن آداب المعلّم وأخلاقه** : التواضع ولين الجانب ، وترك العجب بالنفس والعلم ، وأن يعرف أقدار من سبقه من أهل العلم ومن فوقه ، وأن يردّ علمه إلى فضل ربه وتوفيقه .. قال تعالى : ([illegible]) النحل . والعلم من أعظم نعم الله وأجلّها ..

---

[1] ـ مقدّمة ابن خلدون " ص/541/ .

وقال سبحانه : (.. ﭻ ﮃ ﮃ ﭺ ﭺ ﭶ ﭶ ڈ
ڈ ژ ڙ ڑ ڙ) البقرة .

وقال سبحانه : (..ﯕ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ) يوســـف ، حتّى ينتهي العلم إلى الحـــقّ تبارك وتعالى .

وقـد جـاء في الأثـر : " **ولا تكونُـوا مِن جبـــابرةِ العلمـــاءِ ، فلا يقـــومُ علمُكم بجهلِكم** " .

4 ـ ومن آداب المعلم وأخلاقه : أن يترك العجب بما يحسـن ، والتكلّـف لما لا يحسن ، فإذا سـئل عمّـا لا يـدري ، يقـول : لا أدري ، ولا يتكلّم بمـا لا يعلم ، فتلك مسئوليّة يحاسب عليها .

قال الله تعالى : (□ □ □ □ □ □ □ □
□ □ □ □ □ □ ى ى ي ي □) الإسراء .

ومن دعـاء الجاحـظ : " **اللهمّ إنّـا نعـوذُ بـكَ مِن فتنـةِ القـولِ ، كمـا نعوذُ بـكَ مِن فتنـةِ العمـلِ ، ونعـوذُ بك مِن التكلّفِ لما لا نحسِنُ ، كمـا**

نعـوذُ بـكَ مِن العُجبِ بمـا نحسِـنُ ، ونعوذُ بك مِن شرِّ السَّلاطةِ والهَذَرِ ، كمـا نعـوذُ بـكَ مِن شـرّ العِيّ والحصَـرِ .." . والسـلاطةُ : حِـدّةُ اللسانِ ، والهذَرُ : إكثار الكلام بغير فائدة .

ـــ وقـد كـان من أهمّ آداب علمائنا أنّهم كـانوا يعلّمـون الطـالب بسـلوكهم وحـالهم قـول : " لا أدري " ، في كلّ ما كانوا يسألون عنه ممـا لا علم لهم بـه .. ولا يسـتحيون من ذلـك ، ولا يبالون بما يقال عنهم ..

ـ وقـد سُـئل الإمـام مالـك بن أنس رحمه الله عن مسائل كثيرة ، فقـال في أكثرهـا : " لا أدري " ، فعنـدما ألحّ عليـه السائل في طلب الجواب ، قال له : قـل للناس : إنّ مالكاً قال : لا أدري .. " وهذا من حرصه رحمه الله على أمانـة العلم ، وتقدِيره لعظيم حقه ..

5 ـ **ومن آداب المعلّم وأخلاقه** : أن يبذل العلم لطالبه ، ولا يبخل بتعليم ما يعلم ، ولا يمتنع من الإفـادة بـه ، فـإن كتم العلم الذي يحتاجه النـاس لا يجـوز ، ولو استنّ بذلك من علّمه لما وصل العلم إليه .

قال الله تعالى : (ب ٻ ٻ پ پ ٻ ٻ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ) آل عمران .

ـ وفي الحـديث : (**مَن سُئلَ عن عِلمٍ فكتمَـه أُلجمَ يـومَ القيامـةِ بلجامٍ مِن نارٍ**) [1] .

ـ وقـال بعض العلمـاء : " إني لأفـرح بإفـادتي المتعلّم ، أكـثر من فـرحي باستفادتي من المعلّم " .

---

[1] ـ رواه أبـو داود والترمـذي وابن ماجـة وابن حبّـان والحـاكم ، وصـحّحه من حـديث أبي هريـرة ، وقـال الترمذي : حديث حسن .

ـ وللمعلّم في بذل العلم ، وتعليمــه لطالبه نفعان :

ـ **الأول** : ما يرجوه من ثواب اللــه تعــالى ، بتعليم الجاهــل ، ونشــر العلم ، وبذل الخير ..

ــ **الثـاني** : زيـادة العلم ، وإتقـان الحفظ ، فإنّ تـرك المعلّم للتعليم ينسـيه العلم .

قال الخليل بن أحمد رحمه الله : " **اجعــل تعليمــك دراســة لعلمــك ، واجعــل منــاظرة المتعلم تنبيهــاً على ما ليس عندك** " ..

ـ وإنما يعطى الطالب على قدر مــا يتأهّـل لـه في نظـر معلّمـه ، فـربّ علم كان على متعلّمه فتنة .

ـ سأل تلميذ عالماً عن بعض العلوم ، فلم يفده ، فقيل له : لم منعته ؟ فقـال

: **" لكلّ تربيـة غـرس ، ولكـلّ بنـاء أسّ "** .

ــ وقــال بعضــهم : " لكــلّ ثــوب لابس ، ولكلّ علم قابس " .

ـ وقال بعض الأدباء ـ: " ارثِ لروضة توسّــطها خــنزير ، وابــكِ لعلمٍ حــواه شرّير .. " .

6 ـ وينبغي أن يكون للمعلّم فراسة يتوسّم بها المتعلّم ، ليعرف مبلغ طاقته ، وقــدر اســتحقاقه ، ليعطيــه مــا يتحملّــه بذكائــه دون مــا لا يســتطيع حملــه ، أو القيـام بحقّـه ، لأن ذلـك قـد يثبـط همّـة المتعلّم ، ويفلّ عزمه ..

فالمعلّم لا يعدم أن يكـون في طلابــه الـذكيّ الـذي يحتـاج إلى الزيـادة ، والبليـد الذي يكتفي بالقليل ، أو ينوء بحمله ..

ــ وقــد ســبق حــديث عليّ : " **حدّثوا الناس بما يعرفون ، أتحبّون أن يُكذّبَ الله ورسوله** .؟!ـ " .

ـ وقال عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما : " لا عاش بخير من لم ير برأيه ما لم ير بعينه " .

ــ وقال ابن الروميّ في العالم المتفرّس :

ألمعيٌّ يرى بأوّلِ رأيٍ
آخرَ الأمرِ مِن وراءِ المغيبِ

لوذعيٌّ له فؤادٌ ذكيٌّ
ماله في ذكائه من ضرِيبِ

لا يُرَوّي ولا يُقَلّبُ كفّاً
وأكفّ الرجالِ في تقليبِ

7 ــــــــ ومن أهمّ آداب المعلّم وأخلاقه : أن يعمل بعلمه ، ويأتمر بما يأمر الناس به ، وإلاّ كذّب فعلُه قولَه ،

وقد ندّد الله تعالى بمن كان كذلك فقال سبحانه : (ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﯛ ﯜ) البقرة .

ـ وقال تعالى : (ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ) الصفّ .

ـ وحكى الله تعالى عن شعيب عليه السلام قوله لقومه : (.. ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ) هود .

ـــ وضــرب اللــه مثلاً لمن لا يعمــل بعلمــه ولا ينتفــع بــه ، بالحمار في عجمتــه وبلادته فقال سبحانه : (ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ) الجمعة .

ـــ وفي الحـــديث الشـــريف : (**لا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَـوْمَ الْقِيَامَـةِ حَتَّى يُسْـأَلَ عَنْ أَرْبَـعٍ : عَنْ عُمُـرِهِ فِيمَـا**

أَفْنَـاهُ ، وَعَنْ جَسَـدِهِ فِيمَـا أَبْلاهُ ، وَعَنْ مَالِـهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَـبَهُ وَفِيمَـا وَضَعَهُ ، وَعَنْ عِلْمِهِ مَاذَا عَمِلَ فِيهِ) [1] .

ــ وفي الحـديث أيضـاً : (**يُـؤْتَى بِالرَّجُلِ يَـوْمَ الْقِيَامَـةِ ، فَيُلْقَى فِي النَّارِ ، فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُ بَطْنِهِ ، فَيَدُورُ بِهَـا كَمَـا يَـدُورُ الْحِمَـارُ بِـالرَّحَى ، فَيَجْتَمِعُ إِلَيْهِ أَهْلُ النَّارِ ، فَيَقُولُـونَ : يَـا فُلانُ ! مَـا لَـكَ ؟ أَلَمْ تَكُنْ تَـأْمُرُ بِـالْمَعْرُوفِ ، وَتَنْهَى عَنِ الْمُنْكَـرِ ؟! فَيَقُـولُ : بَلَى ، قَـدْ كُنْتُ آمُـرُ بِـالْمَعْرُوفِ ولا آتِيـهِ ، وَأَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ وَآتِيهِ**) [2] .

---

[1] (?) ـ رواه الترمذيّ /2341 / عَنْ أَبِي بَرْزَةَ الأَسْلَمِيِّ ، وقَـالَ : هَـذَا حَـدِيثٌ حَسَـنٌ صَـحِيحٌ ، ورواه الـبزّار والطبرانيّ بإسناد صحيح .

[2] (?) ــ رواه البخـاري 6/238 ومسـلم /2984/ وأحمـد 5/205 و206 و 207 و209 .

ـ وقديماً قال الشاعر عائباً على من يخالف القول منه الفعل :

وغيرُ تقيٍّ يأمُرُ الناسَ بالتقى
طَبِيبٌ يُــداوِي النـــاسَ وهو سَقيمُ

يا أيّها الرجلُ المعلّمُ غيرَه
هلاّ لنفسِــــك كـــان ذا التعليمُ ..؟

ابدأ بنفسِك فانهَها عَن غيّها
فإذا انتهَت عنـه فـأنتَ حَكيمُ

لا تَنهَ عن خُلُقٍ وتَأتيَ مِثلَه
عــارٌ عَليـكَ إذا فَعلتَ عَظيمُ

ـ وقال آخر :

لــو كــان في العلمِ مِن دُونِ التُّقى شَرَفٌ

لكـــــان ذا الفضـــــلِ بين الخلقِ إبليسُ

ـ وقال بعضهم :

عـــــوّد لِســـــانَك قِلّـــــةَ اللفـــــظِ

واحفَـظ كلامَـك أيّمـا حِفظِ

إيّاك أن تَعِظَ الرجالَ وقد

أصـبحتَ مُحتاجـاً إلى الوَعظِ

ـ ووعظ أحمدُ الغزالي أخـاه الإمـام أبا حامد رحمهما الله تعالى ، وهو يخشى عليه أن يشـغله وعـظ النـاس عن وعـظ نفســه ، وحملهــا على الخــير ، وعظــه بأبيات قال له فيها :

أخذتَ بأعضادِهم إذ وَنَوا

وخلّفـــكَ الجَهـــدُ إذ أسرَعُوا

وأصبحتَ تَهدِي ولا تَهتدِي

وتُســـمِعُ وَعظـــاً ، ولا تَسمَعُ

فيا حَجَرَ الشّحذِ حتّى متى تَسُـــنُّ الحدِيـــدَ ولا تَقطَعُ .؟

ـــ وقـــال بعض الســـلف : " **العلمُ يَهتـفُ بالعمـلِ ، فـإن أجابـه ، وإلاّ ارتحل ..** "

فبركـة العلم وثمرتـه : العمـل بـه ، ولن يكون الانتفاع منه بغير ذلك ..

ـــ وقـــال عليّ : " قصـــم ظهـــري رجلان : عالم مُتهتّكٌ ، وجَاهلٌ مُتنسّكٌ " .

8 ـــ ومن حـــقّ العلم على العـــالم إعزازه ، وتنزيهه عن شُبَهِ المكاسب ، أو أن يتخذه سلّماً لمـآرب الـدنيا ، أو مطيّـة لـذوي الأهـواء ، أو بابـاً لـذلّ المطـامع .. وما أحسـن تعبـير القاضـي عليّ بن عبـد

العزيز الجرجاني [1] ، عن حقّ العلم على العالم ، ورفعة العلمِ في نفوس أهلِه ، إذ يقول في قصيدته العصماءِ اليتيمة ، التي يحقّ لنا أن نسمّيها ـ عُنوانَ المَجدِ للعالمِ المُجِدّ :

يقُولــونَ لي : " فيــك انقبــاضٌ .. " وإنما

رأوا رجُلاً عن مَوقـــــــفِ الذلّ أحجما

أرى النـــــاسَ من دانـــــاهُمو هـــانَ عندهُم

ومَن أكرمتـــــه عِـــــزّةُ النفسِ أُكرما

ولم أقضِ حَقّ العلمِ إن كان كلّما

[1] (?) ـ ولد في جرجان سنة 290 وتوفّي سنة 366 هـ ، فقيه شاعر ناقد ، له كتاب : " بين المتنبّي وخصومه " .

بــدا طَمــعٌ صــيّرتُه لـيَ سُلّما

وما زِلتُ مُنحـازاً بعِرضـيَ جانبـاً

عنِ الـــذلّ أعتـــدُّ الصيانةَ مَغنما

إذا قيل : هذا مَنهلٌ قلتُ : قـد أرى

ولكنّ نَفسَ الحـــرّ تحتمِلُ الظَّما

أنزّهها عن بعضِ ما لا يشينُها

مخافــةَ أقــوالِ العِــدا : فيمَ أو لما .؟

فأُصبحُ عَن عيبِ اللئيمِ مُسلّماً

وقـــد رُحتُ في نفسِ الكريمِ مُعظّما

وإنّي إذا ما فاتني الأمرُ لم أبِت

أقلّبُ كفّي إثــــرَه مُتندّما

ولكنّه إن جاء عفواً قبلتُه

وإن مـالَ لم أُتبعــه : هلاّ وليتما

وما كلُّ بَرقٍ لاحَ لي يَستفزّني

ولا كـــلُّ أهـــلِ الأرضِ أرضاهُ مُنعما

وأَقبضُ خَطوي عن أمورٍ كثــيرةٍ

إذا لم أَنلهــــا وافــــرَ العِرضِ مُكرما

وأُكرمُ نفسِي أَن أُضـاحِكَ عابسـاً

وأن أتلقّى بالمـــديحِ مُذمَّما

وكم طالبٍ رِقّي بنُعماه لم يصِل

إليـــــهِ وإن كـــــانَ الرئيسَ المعظّما

وكم نعمةٍ كانت على الحرّ نقِمةً

وكم مَغنمٍ يعتدّه الحرّ مَغرما

ولم أبتـــــذلْ في خِدمــــــةِ العلمِ مُهجَتي

لأَخــدُمَ مَن لاقيتُ لكِن لأُخدَما

أأشقَى به غَرساً وأجنيهِ ذِلّةً

إذن فاتّبــاعُ الجهــلِ قــد كان أحزما

وإنّي لراضٍ عن فتىً مُتعفّفٍ

يــــرُوحُ ويغـــــدُو ليسَ يملكُ دِرهما

يَبيتُ يُراعي النجمَ مِن سُـوءِ حالـهِ

ويُصـبحُ طَلَقـاً ضـاحكاً
مُتبسّما

ولا يسألُ المثرينَ مـا بـأكفّهم

ولو ماتَ جُوعـاً عِفّـةً
وتكرّما

فإن قلتَ : زَندُ العلمِ كابٍ ، فإنما

كبـــا حينَ لم نحـــرُس
حماهُ وأظلما

ولو أنّ أهلَ العلمِ صانُوهُ صـانَهُم

ولـــو عَظّمـــوهُ في
النفُوسِ لعُظّما

ولكنْ أذلّوهُ فهانُوا ودنّسُوا

مُحيّاهُ بالأطماعِ حتّى
تجهّما

ـ وقد علّق الأستاذ عليّ الطنطـاوي رحمه الله على هـذه القصـيدة بقولـه : " وياليت كلّ عالم ينقش هـذه الأبيـات في صــدر مجلســه ، وعلى صـفحات قلبــه ، ويجعلها دستوره في حياتـه ، وإمامـه في خلائقه " [1] .

9 ـــ وليعلم حامـــل العلم : أنّ في العلم لذّة هي عوض عن كل لذّة ، وغنـاء عن كـــلّ رغبـــة ، أو حـــظّ من الـــدنيا الزائلـة .. مـتى كـان صـادق النيّـة فيـه ، صـحيح الهمّـة ، طمـوح العزيمـة ، يبتغي الأجر من الله والمثوبة ..

---

[1] (?) ـ تُوفّي الشـيخ علي الطنطـاوي ، وأنـا أراجـع هـذه الرسالة ، عشيّة يوم الجمعة الرابع من شهر ربيع الأول من سنة 1420 للهجرة ، ودفن بعد عصـر يـوم السـبت في مقبرة العـدل بمكّـة المكرّمـة ، تغمّـده اللـه تعـالى برحمته ، وأسكنه فسيح جنّته ، وعوّض الأمّـة خـيراً عن فقده .

10 ـــ ومن أهمّ آداب المعلّم : أن يزجــر عن ســوء الأخلاق بــالتعريض مــا أمكن ، بــدون أن يعيّن إنســاناً أو يوبّخــه أمام إخوانــه ، وكـان النـبيّ إذا نهى عن أمر فعله بعض النــاس يقــول : " **ما بــالُ أقوامٍ يفعلون كذا وكذا** .. " .

11 ـ **ومن أهمّ آداب المعلّم أيضــاً** : ألاّ يُعنّــف متعلّمــاً ، ولا يحقّــر ناشــئاً ، ولا يستصــغر مبتــدئاً ، فصــغير اليــوم كبــير الغــد ، وربّ كلمــة أســاءت لطالب لم ينسها لمعلّمه مدى عمره ..

وربّ كلمة قــد يقولهـا المعلّم بحــقّ ناشئ متعلّم ، يكون فيها افتراء على الله تعالى ، أو حجرٌ لفضل اللـه على عبـاده ، وكفى بـــذلك تعريضـــاً للنفس إلى مقت الله ، وسوء أحدوثة بين الناس ..!

إنّ الإســلام يــأبى أن يكــون التعليم بالتعنيف أو التحقير أو التنفـير ، وقـد مـرّ

بنـــا من النصـــوص الســـاطعة في هـــذا المعـنى مـا لا نحتـاج معـه إلى بيـان أو تدليل ، ولكنّ بعض المعلّمين وللأسـف لا يـــزال يحمـــل تلـــك الـــروح في نفســـه ومواقفه ، ولا يزال يصـرّ على أن يسـلك هذا المسلك المشـين في تعليمـه ، ومن عجب أنّه يرى أنّ هـذا المسـلك لا يـؤتي إلاّ الثمـار الضـارّة المـرّة ، ثمّ يصـرّ بعـد ذلك على ما مرد عليه واعتاد .؟!

إنّنا كم نستصغر في أنفسـنا أولئـك المعلّمين كلّمـا ذكرنـاهم ، الـذين سـلكوا معنا مسلك التعنيف أو التحقير أو التنفـير ، أو تنبّئـوا لنـا في موقـف من المواقـف بسوء مستَقبلنا ..! ثمّ كذّبتهم أقـدار اللـهِ تعالى بنا وألطافه ..

وقــد كــان يســعهم أن يقولــوا لنــا الكلمـة الطيّبـة المشـجّعة ، الـتي تفعـل فعلها الإيجابيّ في النفس ، وتترك أثرهــا الذي لا ينسى .؟!

وقـــــد أســــرّ لي بعض المعلّمين المربّين الأفاضل بقوله :

" ما ندمتُ على كلمة قلتها لطـالب من طلاّبي كمــا نــدمت ، ولا أزال أنــدم على كلمة قلتها لطالب كـان على درجـة كبيرة من الطيش والرعونة .. فقلت له : " إنّـــك لا تفلح في العلم أبـــداً .. " ثمّ مضت الأيّام ورأيته بعد سنوات ، وقد نال الشهادة الجامعيّة بتفوّق ، وأصبح إنسـاناً آخر ، في سمته وجدّه ، ووقـاره وحسـن أدبه " .

فليعتبر بذلك المعلّمون .! وليعلمـوا أنّ المعلّم العاقـل النـاجح في عملـه هـو من يرفـع شـأن المتعلّمين ، ويحثّهم على سموّ الهمم ، والبعد عن سفساف الأمور ، ويصبر على مـا يظهـر منهم من الجهـل والطيش ، ويرفـــق بهم ، ويلتمس العـــذر لهم في نفسه مـع بـذل مـا يسـتطيع من الجهد في تأديبهم وتوجيههم ، ويستشـعر

عظم مسـئوليته عنهم ، كلمـا رأى منهم قصوراً أو تقصيراً ..

وقد جـاء في الحـديث الشـريف : (**إنما بُعثتُ مُعلّماً ، ولم أُبعث مُعنّفاً**) [1] .

12 ـــــ ومن أهمّ آداب المعلّم : حســـن الاســـتقبال لطـــالب العلم ، والـترحيب بـه ، والبشاشـة في وجهـه ، والترغيب له في العلم ، وحثّه عليه ..

ـ عن أبي هارون العبدي رحمه الله ، أنه قال : " كنا نأتي أبا سعيد الخـدري فيقول : " مرحباً بوصيّة رسـول اللـه .! إنّ رسول الله قال :

(**إنّ النـاس لكم تبـع ، وإنّ رجالاً يـأتونكم من أقطـار الأرض ـ أي من نواحيها البعيدة ـ يتفقّهـون في الدين ، فإن أتوكم فاستوصـوا بهم خيراً**) .

[1] سبق تخريجه .

13 ـــ ومن أهمّ آداب المعلّم : أن يحــترم العلــوم الأخــرى ، الــتي يتلّقاهــا المتعلّم ، ويحثّــه على الاهتمــام بهــا ، وألاّ يزدريها أمامه ، ولا يحقّر شأنها ، ومـا دامت علوماً نافعة ، تحتاج الأمّــة إليهـا فهي من فـــروض الكفايـــات ، الـــتي يجبُ على مجموع الأمّة وجوباً كفائيّـاً ، وتـأثم الأمّـة كلّهـــا إن لم تحقّـــق الكفايـــة ، وتســـدّ النقص .. فـــإذا هـــوّن المعلّم من هـــذه العلـوم أمـام المتعلّم ، ربمـا لقي كلامـه القبول لديه ، فأهملها واستهتر بهـا ، وفتح عليه بذلك باب التقصير ، والتخلّف فيها .

14 ـــ ومن أهمّ آداب المعلّم : أن يعرف الفضل لأهل الفضـل ، ويقـدّم من هو أولى منـه بـالكلام والفتـوى ، ويعـرف قدرهم ، ولا يغمطهم حقّهم ، ويرشد إلى الأخــذ عنهم ، وقــراءة كتبهم ، والانتفــاع بعلمهم ، فهـــذا من إخلاصـــه في طلب العلم وحسن قصده ..

ــ ولا يمنـع هـذا الأدب من مخالفـة العـالم غـيره من أهـل العلم ، فيمـا هـو محـلّ اجتهـاد ، تسـوغ فيـه المخالفـة ، ولكن الاختلاف في الاجتهاد لا يهدر مكانة الرجال ، ولا ينقص من أقدارهم ..

15 ـــ أن يتحلّى المعلّم بالعــدل والإنصاف ، ويبتعد عن الغلوّ والإسـراف ، أو التقصير والإجحاف ، فالعدل والإنصاف أحمـد الأحـوال ، وأرقى الخلال ، ومثَلُـه كمثَل تناول الدواء بقـدر معلـوم ، ليكـون بـه الشـفاء بـإذن اللـه تعـالى ، فـترك التداوي فيه تعـريض للنفس إلى الهلاك . ومجـاوزة الحـدّ في تنـاول الـدواء ، فيهـا السمّ المميت .

ــ فالعـدل والإنصـاف مـع الطلاب والمتعلّمين أجمـع لقلـوبهم ، وأنفـع لهم من معلّمهم ، وفيـه تـأديب لهم وتربيـةٌ على ذلك ..

ــ والعـدل والإنصـاف في نظـرة المعلّم إلى العلـوم ، وفي موقفـه من

الآراء ، ومن يختلف معهم في الرأي ، ويخالفهم في الاجتهاد .. فيه دليل على اتّزان شخصيّته ، وتأدّبه بأدب العلم ، وسمات أهل الفضل .

16 ـــ ومن أهمّ آداب المعلّم : أن يحاسب نفسه بين الحين والآخر ، على أقواله وأفعاله ، ومواقفه وتصرّفاته ، ويزن نفسه بميزان دقيق في كلّ ما يصدر عنه ، ليكون في رقيّ دائم ، وتقدّم مستمرّ ..

هذه أهمّ آداب المعلّم ، وأجمع صفاته ، وهي مقدّمة لما وراءها ، ودليل على سواها ..

ـ قال الجاحظ يوصي طالب العلم المعلّم في بعض أقواله الجامعة : " .. **وهب الله لك حسن الاستماع ، وأشعر قلبك حبّ التثبّت ، وجعل أحسن الأمور في عينيك وأحلاها في صدرك ، وأبقاها أثراً عليك**

في دينِـك ودنيـاك : علمــاً تفيـدُه ، وضــالاًّ ترشــدُه ، وبابــاً مِن الخــير تفتحُــه ، وأعــاذك من التكلّــفِ ، وعصمك مِن التلـوّنِ ، وبغّض إليـك اللجـاجَ ، وكـرّه إليـك الاسـتبدادَ ، ونزّهــكَ عن الفُضــولِ ، وعرّفــك ســوءَ عاقبــةِ المــراء ، ولا أعلم الموصــوف بالاســتبداد إلاّ مجهّلاً مذموماً .

" فاجعــل محاســبة نفسِــك صـناعةً تعتقـدُها ، وتفقّـدَ حالاتِـك عقــدةً ترجــعُ إليهــا ، حتّى تخــرجَ أفعالُــك مقســومةً محصّــلةً ، وألفاظُك موزونةً معدّلةً ، ومعانيــك مصــفّاةً مهذّبــةً ، ومخــارِجَ أمــورِك مقبولةً محبّبـةً ، فمـتى كنتَ كـذلكَ ، كـانت رقّتُـك على الجاهـلِ الغـبيّ ، بقدرِ غلظتِـك على المعانِـدِ الـذكيّ ، وتحبّ الجماعةَ بقدرِ بُغضِك للفرقةِ ،

وترغَبُ في الاستخارةِ والاستشارةِ بقـــدرِ زهـــدِكَ في الاســـتبدادِ واللجاجـةِ ، وتبـدأُ مِن العلمِ بمـا لا يَسَعُ جهلُه قبلَ التطـوّعِ بمـا يسـعُ جهلُه ..

" **ولا تلتمسِ الفُـروعَ إلاّ بعـدَ إحكــامِ الأُصُــولِ ، ولا تنظُــر في الطُّرَفِ والغــرائِبِ وتــؤثِر روايــةَ الملَحِ والنوادِرِ ، وكلّ ما خـفّ على قُلــوب الفُــرّاغ ، وراقَ أســماعَ الأغمارِ** .

سُـئل بعضُ العلمـاء عن بعض أهـل البلـــدان ، فقـــال : أبحثُ النـــاسِ عن صغيرٍ ، وأتركُهم لكبيرٍ .

وسُئل عن بعض الفقهاء ، فقال : " **أعلمُ الناسِ بما لم يكن ، وأجهلُهم بما كان** " .

وقيل لبعض العلماء : مَن أسوأُ الناسِ حالاً ؟ قال : " مَن لا يثقُ بأحدٍ لسُوءِ ظنّـه ، ولا يثقُ به أحدٌ لسُوءِ فعلِه " [1] .

[1] (?) ـ من كلام الجاحظ في كتاب " البرصان والعرجـان والعميان والحولان " ص /3/ .

المبحث الثاني
أهمّ آدابِ المُتعلّم

1 ـ حسن النية ، وسلامة القصد ، **فإنما الأعمالُ بالنيّاتِ ، وإنما لكلّ امرئٍ ما نوى** ، وينبغي أن يكون هدف المتعلّم وغايته نيل ثواب الله تعالى ومرضاته ، ونفع الأمّة الأسلاميّة التي ينتمي إليها ، ورفعة الإسلام وإعزاز كلمته ، وأن يتطهّر من أعراض الدنيا ، ومقاصدها الدنيّة ، ليسدّد الله تعالى خطاه ، ويفتح عليه ، وينفع العباد به ..

2 ـ أن ينوي بطلب العلم الامتثال والعمل ، وألاّ يطلب بتعلّمه الصيت بين الناس ، وحسن الذكر ، والتقدّم على الأقران ، والرفعة في المجالس ، فإنّ

مِن أوّل النـاس الـذين يُقضـى فيهم يـوم القيامة : رجل تعلّم العلم ، وعلّمـه ، ولم يعمـل بـه ، ولم يخلص للـه في تعلّمـه وتعليمه ، فيكبّه الله تعالى في النار ..

ففي الحديث الصـحيح : **(إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَـى يَـوْمَ الْقِيَامَـةِ عَلَيْـهِ رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ .. وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ وَعَلَّمَهُ ، وَقَـرَأَ الْقُـرْآنَ فَـأُتِيَ بِـهِ ، فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَـا ، قَـالَ: فَمَـا عَمِلْتَ فِيهَـا ؟ قَـالَ : تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ وَعَلَّمْتُـهُ ، وَقَـرَأْتُ فِيـكَ الْقُـرْآنَ ، قَالَ : كَـذَبْتَ ، وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ عَالِمٌ ، وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ هُوَ قَارِئٌ ، فَقَدْ قِيـلَ ، ثُمَّ أُمِـرَ بِـهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ ..)** [1] .

---

[1] (?) ـ رواه مسلم /3527/ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ .

فينبغي أن يكـــون هـــذا الحـــديث المخيف نُصب عيـني طـالبِ العَلم ، كيلا يتردّى في مهاوِي فتنة السمعة والريــاء ، وابْتغـاء أعـراض الـدُّنيا الفانيـة بعلمـه ، أعاذنا اللـه منْ شـرّ ذلـك وعَقابيلـه بمنّـه وكرمه .

وفي الأثـر عن جـابر مرفوعـاً : " **لا تَعلّموا العلم لتباهوا به العلماء ، ولا لتمـــاروا بـــه الســـفهاء ، ولا لتجتازوا به المجـالس ، فمن فعـل ذلك : فالنار النار** " .

ـ ومن وصـايا لقمـان لابنه : " يـــابني ! لا تتعلّم العلم لثلاث ، ولا تدعـــه لثلاث ، لا تتعلّمه لتماري بـه ، ولا لتبـاهي به ، ولا لترائي به ، ولا تدعه زهادة فيـه ، ولا حياء من الناس ، ولا رضىً بالجهالة .. "

3 ـ التأدّب مع العالم ، والتملّق له ، وشدّة الرغبة فيما عنده ، والصدق في الطلب ، قال ابن عباس رضي الله عنهما : **" ذللتُ طالباً ، فعززتُ مطلوباً "** .

ــ وقال بعض الحكماء : " من لم يحتمل ذلّ التعلّم ساعة ، بقي في ذلّ الجهل أبداً " .

4 ــ ومن آداب المتعلّم : الصبر على معاناة العلم ، والدأب في تحصيله ، فلا ينال العلم إلاّ بنهم لا يقف عند حدّ ، وهمّة لا تعرف الفتور ، ومن طلب العلى سهر الليالي .

ـ وإنّ من أظهر العلل التي نشكوها في كثير من طلاب العلم اليوم : التشهّي في طلب العلم ، فتراه يقبل برغبة جامحة أيّاماً معدودات ، أو شهوراً قليلةً ، وكأنّه يريد أن يحوز العلم كما يحوز الإنسان بضاعة بماله ، ويتطلّب من

مشـــايخه أو معلّميـــه كـــثرة الـــدروس ومضـــاعفة الجهـــود معـــه ، وحالـــه لا يسـتوعب مـا يتطلّب ، ثمّ يـرى الطريـق أمامـه طـويلاً ، فتفـتر همّتـه ، وتـتراخى عزيمتـه ، ثمّ ينقطـع كـأن لم يـدخل هـذا الباب ، ولم يعرفه ..

ــ وقـد سُـئِلَ رسـول اللـه : (**أَيُّ الأَعْمَــالِ أَحَبُّ إِلَى اللــهِ ؟ قَــالَ : أَدْوَمُهَا وَإِنْ قَلَّ ، وَقَـالَ : (اكْلَفُـوا مِنَ الأَعْمَالِ مَا تُطِيقُـونَ ، فـإنّ اللـه لا يمـلّ حتّى تملّوا**) [1] .

ـ وفي الحديث : (**إنّ هذا الــدين مـتين ، فأوغـل فيـه برفـق ، فـإنّ المنبتّ لا ظهـــراً أبقى ولا أرضـــاً قطع**) [2] .

---

[1](?) ـ رواه البخاريّ /5984/ عَنْ عَائِشَةَ رَضِي اللهُ عَنْهَا .

5 ــ ومن آداب المتعلّم : أن يقطع العلائــق الشــاغلة عن تحصــيل العلم ، أو يتقلّل منها ما اسـتطاع ، فـإنّ الفكـرة إذا توزعت بين عدة أمور قصــرت عن إدراك الحقــائق ، وكَـلّ صــاحبها عن النبــوغ في العلوم ..

ــ وقــد روي عن الإمــام الشــافعي رحمـه اللـه تعـالى أنّـه قـال : " لـو كُلّفنـا بصلة ، لما تعلمنا مسألة .. " .

ــ وقـد كـان السـلف يـؤثرون العلم على كلّ شئ .

ـ ومن أخطر العوائق القاطعة عن العلم : ابتغــاء عــرض الــدنيا فيمــا يطلب من العلم ، والإصــــــــــرار على المعاصـي والمحرمـات الـتي تـذهب بنـور العلم وبهائــه ، وتحــرم طــالب العلم من

(?)[2] ــ رواه الـبزّار عن جـابر رضـي اللـه عنـه كمـا في كشف الخفاء 1/300/ .

خــير كثــير ، وتحجبــه عن تفــرغ القلب والعقل لإدراك العلوم وتحصيلها .

ـ وقـد بين الإمـام الشـافعي رحمـه اللـه تعـالى خطـر المعاصـي على طـالب العلم ببيتين من الشعر ، طارا بين طلبة العلم مثلاً ، ولكن أين نحن منهمـــــا .؟!

يقول رحمه الله :

شكوتُ إلى وكيعٍ سوءَ حِفظي
فأرشَـــدَنِي إلى تـــركِ المعاصِي

وأخبرني بأنّ العلمَ نُورٌ
ونُــورُ اللـــهِ ، لا يُهـــدَى لِعَاصِي

6 ـ ومن آداب المتعلّم : أن يتحقّـق بتقــوى اللــه تعــالى في الســرّ والعلن ، امتثالاً لأوامر الله واجتناباً لنواهيه ، فتقوى اللـه سـبحانه : خـير أسـباب توفيـق اللـه وفضــله ، وفتحــه على عبــاده في الفهم

والعلم ، قال تعالى : (.. ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ
ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ) البقرة .

ــ فــالعلم والتعليم فتح من اللـــه سـبحانه وتوفيــق ، فليكــثر الطــالب من سؤال اللــه ودعائــه أن يفتح عليــه بــالعلم النافع ، ويوفّقه للعمــل الصــالح ، ويفهّمــه ما استغلق عليــه من العلــوم ، وأن يزيــده علماً وفهماً : (ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ) طه .

وقال تعالى : (ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ
..) الأنبياء .

ـ وإنّ خـير أسـباب الفتح والتوفيـق والمزيـــد : أن يتواضـــع للـــه تعـــالى ، ويستشـعر فضـل اللــه عليــه فيمــا يعلم ، وليقل دائماً ، بلسان حاله وقاله : (.. ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ) البقرة .

7 ــ ومن آداب المتعلّم : أن يسـأل عمـــا لا يعلم ، ممـــا ينفعـــه علمـــه ، ولا

يسـتحيي من السـؤال ، فلن ينـال العلم مسـتكبرٌ ولا مسـتحٍ .. ولا ينبغي أن يسـأل إحراجـاً ولا إعناتـاً ، وأن يحسـن السـؤال ، ويفكّـر فيمـا يسـأل قبـل أن يسـأل ، فالسؤال مفتاح العلم ، ودليل العقل .

ـ وقد قيـل لابن عبـاس رضـي اللـه عنهمـا : " بمَ نلت هـذا العلم ؟ قـال : بلسانٍ سئُولٍ ، وقلبٍ عقُولٍ " .

ــ وروي في الحـديث الشـريف : " **إنّما شفاءُ العِيّ السؤالُ** " [1] .

ــ وفي الأثـر : " **حسـن السـؤال نصف العلم** " .

ـ وينبغي أن لا يسـأل إلاّ استرشـاداً وتعلّمـاً ، ولا يكـثر الأسـئلة ، ولا يعـترض على معلّمه أمـام طلابـه إلاّ إذا أخطـأ في كتـاب اللـه تعـالى ، أو أمـر من الـدين

---

[1] (?) ـ رواه ابن ماجة عن ابن عباس رضـي اللـه عنهمـا ورواه أحمد والدارمي والدارقطني ، وفيه قصّة كما في كشف الخفاء 1/247/ .

ظـاهر .. ولكنّـه لا يخـرج باعتراضـه عن الأدب بحال .

8 ـ ومن آداب المتعلّم : أن يعـرف للمعلّم عظيم حقّـه ، وفضـل علمـه ، ويشكر له جميل فعله .

ـ وقـد رجّح كثـير من الحكمـاء حـقّ العالم على حقّ الوالد ، حتّى قال بعضـهم :

مَن علّم الناسَ كانَ خيرَ أبٍ
ذاك أبـو الـروحِ لا أبُـو الجيف

وذلـك لأن حيـاة الـروح بـالعلم ، وحياة الجسد بالروح ، فالعلم مادّة الـروح الإنسانيّ ، كمـا أن النطفـة مـادّة الجسـد والروح الحيوانيّ .. والروح الإنسانيّ أفضل الأرواح ، فمن ثمّ كان المعلّم خير الآباء ..

ـ وقال الشاعر :

إنّ المُعلّمَ والطبيبَ كلاهُما

لا ينصحان إذا هُما لم يُكرَما

فاصبر لدائكِ إن أهنتَ طَبيبَه
واصبر لجهلِكَ إن جَفوتَ مُعلّما

ـ **فمن حقّ المعلّم** :

إذا ماشيته أن تقدّمه عليك في الدخول والخروج ، وإذا التقيته فأعطه حقّه من السلام والاحترام ، وإذا اشتركت معه في حديثٍ فمكّنه من الكلام قبلك ، واستمع إليه بإصغاء وإجلال ، ولا ترفع صوتك في حضرته ، وإذا سُئلت عنْ مسألةٍ بين يديه فحوّل السائل إليه .. وإذا كان في الحديث ما يدعو إلى المناقشة فناقشه بأدبٍ وسَكينةٍ ولُطف ، وغُضّ مِن صوتك في حديثك إليه ، وإذا خاطبته أو ناديته ، فلا تنس تكريمه في الخطاب والنداء ، ونَاده بأحبّ الأسماءِ إليه ، وأكرمِ

الألقَــاب والصــفَات ، وصُــن سُــمعته ، واحفظ غَيبته .. ويتوجّب عليك هـذا الحـقّ كلّه لمن كان أكبر منك سنّاً ..

ـ ففي الحديث الشريف عَنْ عُبَـادَةَ بْنِ الصَّـامِتِ أَنَّ رَسُـولَ اللـهِ قَـالَ : (**لَيْسَ مِنْ أُمَّتِي مَنْ لَمْ يُجِلَّ كَبِيرَنَا ، وَيَـرْحَمْ صَـغِيرَنَا ، وَيَعْـرِفْ لِعَالِمِنَـا حَقَّهُ**) [1] .

9 ـ ومن آداب المتعلّم : أن يحرص على الفائـــدة والحكمـــة ، فهي ضـــالّة المؤمن ، أينما وجدها التقطها ، وهو أحـقّ بها ، كما جـاء في الحـديث الشـريف عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُـولُ اللـهِ : (**الكَلِمَـةُ الحكْمَـةُ ضَـالَّةُ الْمُـؤْمِنِ ، فَحَيْثُ وَجَدَهَا فَهُوَ أَحَقُّ بِهَا**) [2] .

---

[1] (?) ـ رواه أحمد /21693/ .

[2] (?) ـ رواه الترمذيّ /2611/ وقَالَ : هَذَا حَـدِيثٌ غَـرِيبٌ لا نَعْرِفُهُ إلاّ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ .

10 ـــ ومن أهمّ آداب المتعلّم : أن يحــرص على العلم النــافع ، ويبتعــد عن العلوم الضـارّة وفضـول العلم ، ومسـائل الاختلاف في مبدأ أمره بخاصّة ، فإن ذلك يحّير عقله ، ويشتّت ذهنه ، ويشـغله عمـا هو أهمّ له وأولى ..

وهل أهلك البشريّة اليوم إلاّ العلوم الضــارّة الــتي اتّخــذها المفســدون في الأرض وسـائل للتـدمير والقتـل ، والبغي على عباد الله والطغيانِ ، وسـفك الـدمَاء والإفْساد لموارد الحياة .!؟

ـ ثمّ ينبغي لـه أن يأخـذ من كـلّ شـئ أحسنه ، لأنّ العمـر لا يتسـع لتحصـيل جميـع العلوم واستقصـائها ، وليحـرص دائمـاً على الاسـتزادة من أشـرف العلـوم وأجلّهـا ، وهي ما يتعلّق بالآخرة ، الـتي عليهـا مـدار السـعادة والفلاح ، وكـلّ مـا يزيـد المـؤمن قرباً من الله تعالى ، واسـتقامةً عَلى دِيْنــه ومَنْهجه ..

11 ـــــــ ومن آداب المتعلّم : أن يقتدي بمعلّمه في جميل أخلاقه ، ويتشـبّه بـه في صـالح أفعالـه وأحوالـه ، ويحـرص على نصحه ، ويستجيب لتوجيهـه ، وينبغي أن يلتمس لمعلّمــه العــذر مــا أمكن إن اطّلــع على بعض أخطائــه أو تقصــيره ، فلعلّ له عذراً وأنت تلومُ ..

ـ ومن كلام ابن سيرين رحمه الله :

" **إنّ هذا العلم دِينٌ ، فانظُرُوا عمّن تأخُذُون دِينكم** " [1] .

12 ـــ ومن آداب المتعلّم : أن يغتنم أوقاتــه وينظّمهــا ، ويحــرص على ملئهــا بالنــافع المفيــد ، ويحــذر من ضــياع الأوقات ، أو صحبة الفارغين البطّالين ..

فما ضيّع طالبَ العلم وأفسـد عليـه شأنه مِثلُ قتلِ الأوقـات في غـير فائـدة ، والتفريــطِ بهــا بغــير حســابٍ ، وصُــحبةِ

---

[1] (?)ـ رواه مسلم في مقدّمة صحيحه .

البطّالين الذين يزيّنون له ذلـك ، ويغرونـه به ..

وإنّ من أهمّ أســـــس التربيــــــة الإسـلاميّة وأصـولها : التربيـة على حفـظ الأوقات ورعايتها ، وإعطاء كلّ وقت حقّـه من الجِدّ وفعل الخير ..

وإنّ خير ما يعين طـالب العلم على ذلك مطالعة سير السلفِ الصالح في هـذا الشأن ، والحرص على الاقتـداء بهم فيمـا كانوا عليه من الجِدّ والاجتهاد في استثمار أوقاتهم ، والانتفاع بهَا على أحسن وجــه ، وقد أتوا في هـذا البـابِ بـالعجب العجـاب [1] .

---

[1] (?) ـ أنصح كلّ طالب علم أن يقرأ مـا جمعـه من ذلـك أستاذنا العلاّمة الشيخ عبد الفتّاح أبو غدّة رحمه الله في كتابيه : " قيمـة الـزمن عند العلمـاء " و " صـفحات من صبر العلماء " وما كتبه الدكتور العلاّمـة الشـيخ يوسـف القرضاوي في كتابه : " الوقت في حياة المسلم " .

13 ـــــــ ومن آداب المتعلّم : أن يحـرص على حسـن العلاقـة مـع إخوانـه المتعلّمين وسموّها ، ويبـذل النصـح لهم ، ويكـفّ الأذى عنهم ، وينافسـهم في طلب العلم ، والجـدّ والاجتهـاد ، ويتواضـع لهم ، ويكون لين الجانب معهم .

14 ــــ ومن آداب المتعلّم أيضــاً : حســن الســمت والوقــار ، والاعتنــاء بالنظافة وجمال المظهر ، والبعد عن كـل مــا يُنفّــر أو يُســتقبَح ، ومراعــاة الآداب العامة ، كـآداب الطريـق ، وآداب الزيـارة والضــيافة ، وآداب الأخــوّة والحقــوق الاجتماعية [1] ..

ــ ففي الحـديث الشـريف : (**إِنَّكُمْ قَـادِمُونَ عَلَى إِخْـوَانِكُمْ ، فَأَصْـلِحُوا رِحَـالَكُمْ ، وَأَصْـلِحُوا لِبَاسَـكُمْ ، حَتَّى**

[1] (?) ـ وقد جمع أستاذنا العلاّمة الشـيخ عبـد الفتّـاح أبـو غدّة رحمه الله في رسـالته : " من أدب الإسـلام " أهمّ هذه الآداب بصورة نافعة ممتعة .

تَكُونُـوا كَـأَنَّكُمْ شَـامَةٌ فِي النَّاسِ ، فَـإِنَّ اللـهَ لا يُحِبُّ الْفُحْشَ وَلا التَّفَحُّشَ) [1] .

ـ وفي الحديث أيضاً : (**إِنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ** ..) [2] .

ـ وفي الحديث أيضاً : (**إِيَّاكُمْ وَالْجُلُوسَ عَلَى الطُّرُقَاتِ ، فَقَالُوا : مَا لَنَا بُدٌّ ، إِنَّمَا هِيَ مَجَالِسُنَا نَتَحَدَّثُ فِيهَا ، قَالَ : فَإِذَا أَبَيْتُمْ إِلاَّ الْمَجَالِسَ ، فَأَعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهَا ، قَالُوا : وَمَا حَقُّ الطَّرِيقِ .؟ قَالَ : غَضُّ الْبَصَرِ ، وَكَفُّ الأذَى ، وَرَدُّ السَّلامِ ، وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ ، وَنَهْيٌ عَنِ الْمُنْكَرِ**) [3] .

---

[1] (?) ـ رواه أبو داود /3566/ عن أبي خريم الأسدي ، وأحمد في المسند .

[2] (?) ـ جزء من حديث رواه مسلم /131/ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ ، ورواه الترمذيّ /1922/ وأحمد في المسند .

[3] (?) ـ رواه مسلم /2285/ و /2121/ و /4021/ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ، ورواه أبو داود /4181/ وأحمد .

15 ـ ومن آداب المتعلّم : أن يبتعـد عن الخصـام والجـدال ، والمـراء وكـثرة القيـل والقـال ، وليعلم أنّ ذلـك يـوغر الصـدور ، ويـذهب ببركـة العلم وبهائـه ، ويحرمـه من فتح اللـه عليـه وتوفيقـه ، ويكون علمه بذلك حجّة عليه يوم القيامـة وسبباً لهلاكه ..

وأخيراً ؛ ففي تراثنا التربويّ ذخيرة فكريّة عظيمـة ، وتفصيل دقيـق من أئمّـة الإسلام لما ينبغي أن يكـون عليـه طـالب العلم مـع أسـتاذه وشـيخه من أدب جمّ ، وخلـق طيّب ، وعلاقـة متميّـزة ، تضـاهي علاقة الأبناء بآبائهم ، بل تفوقها في كثـير من الأحيان ، ومن ذلـكَ مـا يقولـه الإمـام بـدر الـدين بن جماعـة في تفصـيل ذلـك وتصويره : " **وينبغي أن ينقاد التلميذ لشـيخه في أمـوره ، ولا يخـرج عن رأيـه وتـدبيره ، فيشـاوره فيمـا يقصـده ، ويتحـرّى رضـاه فيمـا**

يعتمـــده ، ويبـــالغ في حرمتـــه ، ويتقـرّب إلى اللـه بخدمتـه ، ويعلم أنّ ذلّـه لشـيخه عـزّ وتواضـعه لـه رفعـة .. وأن يعـرف لـه حقّـه ، ولا ينســى فضــله ، ويعظّم حرمتــه ، ويردّ غيبته ، ويغضب لها " .

وفي مقابل ذلك يوضّـح الإمـام ابن جماعـــة مـــا على المعلّم من مســـئوليّة جسيمة في رعاية طلاّبه ، وتفقّد أحوالهم ، والحدب عليهم كحدب الآبـاء على أبنـائهم فيقول رحمه الله :

" **وينبغي أن يعتـني بمصـالح الطالب ، ويعامله بما يعامل به أعزّ أولاده مِن الحنـــــوّ والشـــــفقة والإحسان إليه ، والصبر على جفاءٍ ربما وقع منه ، ونقصٍ لا يكاد يخلـو الإنسان منه ، وسوء أدب في بعض الأحيــان ، ويبســط عــذره بحســب الإمكان ، ويوقفه مع ذلـك على مـا**

صدر منه بنصح وتلطّف ، لا بتعنيف وتعسّف ، قاصداً بذلك حسن تربيته ، وتحسين خلقه ، وإصلاح شأنه .. "
.

" وينبغي أن يتودّد لحاضرهم ، ويذكر غـائبهم بخـير وحسـن ثنـاء ، وينبغي أن يســـتعلم أســـماءهم وأنسابهم ، ومواطنهم وأحـوالهم ، ويكثر الدعاء لهم بالصلاح " .

" وينبغي أن يســـعى في مصــالح الطلبــة ، وجمــع قلــوبهم ومساعدتهم بما تيسّر عليه من جاه ومال عنـد قدرتـه على ذلـك ، فـإنّ الله تعـالى في عـون العبـد مـا دام العبد في عون أخيه ، ولا ســيّما إذا كـان ذلـك إعانـة على طلب العلم ، الــذي هــو أفضــل القربــات .. وإذا غــــاب بعض الطلبــــة أو ملازمي

الحلقة غياباً زائداً عن العـادة سـأل عنـه ، وعن أحوالـه ، وعمّـا يتعلّـق به ، فإن لم يخبر عنه بشيء أرسل إليه ، أو قصد منزله بنفسـه ، وهـو أفضل .. " .

ويقول أَيضاً رحمه الله في بيانِ مثوبة العالم المعلّم عند اللـه ، ومـا لـه من عظيم الأجــر : " **واعلم أنّ الطــالب الصــالح أعود على العالم بخير الدنيا والآخـرة من أعزّ الناس عليـه ، وأقـرب أهلـه إليـه ، ولـذلك كـان علمـاء السـلف الناصحون لله ودينه يلقـون شـباك الاجتهـاد لصـيد طـالب علم ينتفـع الناس به في حياتهم ، ومن بعدهم ، ولو لم يكن للعالم إلاّ طالب واحد ينتفع الناس بعلمـه وعملـه وهديـه وإرشاده لكفـاه ذلـك الطـالب عنـد اللـه تعـالى ، فإنـه لا يتّصـل شـيء**

من علمـه إلى أحـد فينتفـع بـه إلاّ كان له نصيب من الأجر .. " .

ويعـدّد الإمـام الغـزاليّ رحمـه اللـه صفات المعلّم المربّي فيقول : " **أن يكون المعلّم عاملاً بعلمه ، فلا يكـذّب قولـه فعلــه ، لأن العلم يــدرك بالبصــائر ، والعمــل يــدرك بالأبصــار ، وأربــاب الأبصـار أكـثر ، فـإذا خـالف العمـل العلم منـع الرشـد ، وكـلّ من تنـاول شيئاً وقال للناس : " لا تتناولوه فإنه ســمّ مهلــك " ســخر النــاس بــه ، واتّهموه وزاد حرصـهم على مـا نهـوا عنه** " .

ويستعرض الأسلوب الأمثل لتقــويم الناشــئ وتهذيبــه فيقــول : " **أن يزجــر المتعلّم عن ســوء الأخلاق بطريــق التعــريض مــا أمكن ، ولا يصــرّح ، وبطريق الرحمة لا بطريق التوبيخ ، فإن التصريح يهتك الهيبة ، ويـورث**

الجــرأة على الهجــوم بــالخلاف ، ويهيج الحرص على الإصرار " .

" وإذا رأى المعلّمُ من أحــد طلبتــه مكروهاً ، ولحظ في سلوكه اعوجاجاً ، فلا يصرّح له بـذلك مباشـرة ، بـل يعـرض لـه في سياق كلامه مع الطلبة جميعاً ، كاشفاً عن وجـه المذمّــة في المكــروه إجمــالاً ، فتحصل بذلك الفائدةُ المنشودة " .

ويقول الإمام الغـزاليّ أيضـاً : " **إنّ التعليمَ يقع أوّلاً عن طريقِ الحسّ ، ثمّ بــالتفكير والقيــاس ، وأخــيراً بالحـــــدس ، فالإنســــان إذا تعلّم وارتـاض بـالعلم أصـبح يفكّـر فيمـا تعلّمه ، وانفتح له باب الغيب** " .

وينصـح الإمـام ابن الجـوزيّ رحمـه الله ولده بمعان نفيسـة ممّـا أفـاض اللـه على قلبه من الحكمة فيقول : " واعلم يا بنيّ أنّ الأيام تبسط ساعات ، والسـاعات تبسط أنفاساً ، وكلّ نفسٍ خزانة ، فاحـذر

أن تذهب نفساً في غير شيءٍ ، فترى يوم القيامة خزانة فارغةً فتندم ..

" وفي الحـــديث : (**من قـــال : سبحان اللـه وبحمـده ، غُرسـت لـه نخلة في الجنّة**) [الترمذيّ : 3464] ، فانظر إلى مضيّع الساعَاتِ كم يفوتـه من النخل .؟! " .

" فانتبه يا بنيّ لنفسك ، واندم على ما مضى من تفريطك ، واجتهد في لحـاق الكاملين ما دام في الـوقت سـعة ، واسـق غصـنك مـا دامت فيـه رطوبـةٌ ، واذكـر ساعاتك التي ضاعت ، فكفى بهـا عظـةٌ ، ذهبت لذّة الكسـل فيهـا ، وفـاتت مـراتب الفضائل ، وقد كـان السـلف رحمهم اللـه يحبّـون جمـع كـلّ فضـيلة ، ويبكـون على فوات واحدة منها " .

ويقول رحمه الله : " .. ولا تشـتغل بعلم حتّى تحكم مـا قبلــه ، وتلمّح سـير

الكـــاملين في العلم والعمـــل ، ولا تقنـــع بالدون ، فقد قال الشاعر :

ولم أر في عيوب الناس شيئاً كنقص القادرين على التمام

" واعلم أنّ العلم يرفـــــع الأراذل ، فقد كان خلـقٌ كثـير من العلمـاء لا نسـب لهم يـذكر ، ولا صـورة تستحسـن ، وكـان عطـــاء بن أبي ربـــاح أســـود اللـــون ، ومستوحش الخلقة ، وجـاء إليـه سـليمان بن عبد الملك ، وهو خليفة ومعـه ولـداه ، فجلسوا يسـألونه عن المناسـك ، فحـدّثهم ، وهو معرضٌ عنهم ، فقـال سـليمان الخليفـة لولديــه : قومــا ، ولا تنيــا ، ولا تكاســلا في طلب العلم ، فما أنسى ذلّنا بين يدي هـذا العبد الأسود ! " .

" وكـــان الحســـن البصـــريّ مـــولىً ـ مملوكـاً ـ وابن سـيرين ، ومكحـول ، وخلـق كثير ، وإنما شرفوا بالعلم والتقوى " .

وذخائر السلف في الفكر التربويّ كثيرة متنوّعة ، شاملة محيطة ، لا يمكن أن تجمع في كلمات عابرة ، وإنما تصلح أن تكون منها دراسة علميَّة متخصّصة ، تجمع شواردها ونوادرها ، وتستقصي حقائقها ، ولكن حسبنا ما ذكرنا هَا هنا ، من هذه النبذة المختصرة ، والله يتولاّنا برحمته وهداه .

المبحث الثالث
آداب المناقشات العلميّة

العقول والأفهام منح إلهيّة ، قضـت حكمـة اللـه تبـارك وتعـالى أن تتفـاوت وتتفاضل ، كما قضت حكمة الله سـبحانه وتعـالى بهـذا التفـاوت والتفاضـل في كـلّ نعمه وآلائه ، ومنحه وهباته .. (ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ) الجمعة .

وقـد يقـع بسـبب هـذا التفـاوت بين الأفراد والجماعات خلاف ، ولكن يجب أن يكـون البـاعث إليـه الإخلاص ، وأن تكـون غاية الجميع طلب الحـقّ ، وطـالب الحـقّ يسعى وراء الحقّ ، ويدور معه حيث دار ، سواء أظهر على لسانه أم لسان غيره ..

أمّـا العنـاد والمكـابرة ، ومدافعـة الحـقّ إذا ظهـر ، والتعصّـب للآراء أو الأشخاص فكلّ ذلك من أمراض القلوب ،

ورعونـات النفـوس ، وهي ممـا ينبغي أن يربـأ عنهـا العاقـل ، فضـلاً عن المسـلم التقيّ المستقيم ..

وقـد اختلـف الصـحابة ، وتنـاظروا في كثير من مسـائل العلم ، ولكن غـرض الجميـع كـان طلب الحـق ، ومعرفـة وجهه ..

ويختلف الناس في كلّ عصر ، وتقع بينهم منـاظرات في أمـور ، ينظـر إليهـا فريـق من جـانب ، وفريـق من جـانب آخر .. وقـد تعلـو الآراء وتسـفُل ، وتقـوى وتضعف ، وتمتدّ وتقصُر ، وتبعد وتقرب ..

والمناظرات محكّ عقول الرجـال ، وبهـا يتوصّـل البـاحثون المخلصـون إلى الحقّ المنشود ، إذا راعى النـاس آدابهـا ، والـتزموا بقواعـدها وأصـولها ، ومن أهمّ آدابها :

1 ـ أن يـترك المتنـاظرون كـلّ رغبــــة في الغلبـــــة والانتصـــــار على مناظريهم ، لأنّ ذلـك ينـافي الإخلاص في طلب الحـقّ المنشـود من جهـة ، ويـوغر الصدور بالعـداوة ، ويـزرع فيهـا الضغائن والأحقاد ، ويدفع المناظر الآخر إلى العناد والمكابرة من جهة أخرى ..

كـان الشـافعي رحمـه اللـه تعـالى يقـــول : " **مـــا نـــاظرني أحـــد ، إلاّ وأحببت أن يظهَرَ الحقّ على لسانه أو لساني** .. " .

2 ـ **أن يـــتركوا التعـــالي والتغــالي ، والــدعاوي الباطلة** في الثنـاء على أنفسـهم وآرائهم ، أو آراء من ينتصـــرون لهم ، ويـــدَعُوا انتقـــاص آراء مخالفيهم ، والحطّ منها ، والإزراء عليها ..

3 ـ **وأن يـــــدَعُوا التعـــــالم والتفاصح على الناس** ، فإنّ ذلك ممـا

يبعث الكراهيـة والمقت عنـد اللـه تعـالى ، وعنــد النــاس .. ويُصــمّ آذان النــاس عن سماع الحقّ المنشـود ، ويصـرف القلـوب عن قبوله ..

4 ـ **وأن يحــــــذروا أن تنقلب المنــاظرة إلى مــراء وجــدال** ، فــإن الجدال والمراء لا يأتيان بخير ، ولا يوصلان إلى الحقّ ..

ففي الحديث الشريف : (**ما ضَـلّ قَومٌ بعدَ هُدَىً كانُوا عَليــهِ إلاّ أُوتُـوا الجدَلَ**) [1] .

وفي الحــديث أيضــاً : (**أَنَـا زَعِيمٌ بِبَيْتٍ فِي رَبَضِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَـــــرَكَ الْمِــرَاءَ ، وَإِنْ كَــانَ مُحِقًّا ، وَبِبَيْتٍ فِي وَسَطِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْكَـذِبَ ،**

---

[1] (?) ـ رواه الترمذيّ /3176/ عن أَبِي أُمَامَةَ ، وقـال : حـديث حسـن صـحيح ، وابن ماجـة في المقدّمـة /47/ والحاكم وصحّحه ، وأحمد في مسنده .

وَإِنْ كَـانَ مَازِحـاً ، وَبِبَيْتٍ فِي أَعْلَى الْجَنَّةِ لِمَنْ حَسَّنَ خُلُقَهُ) [2] .

5 ـ **وأن يحـــــذروا من رفـــــع الأصوات** ، وتوجيـه الكلام غـير اللائـق ، وتحويـــل المناقشـــة العلميّــة إلى اتّهــام النيّات ، وتجريح الأشخاص أو الهيئات ..

وإنّ حليـــــــة أهـــــــل العلم والفضــــل : الســـكينة والوقـــار ، والبعـد عن اللغـو ، وكـثرة القيـل والقال ..

6 ـ **وأن يـــــتيح المنـــــاقش الفرصــة الكافيــة للطــرف** الآخـــر ، للتعبير عن رأيه ، والتدليل عنه ، وأن يصغى إليـه ، ولا يقاطعـه في حديثـه حتّى ينتهي .. ويجتهـد في تفهّم وجهـة نظـره ، والتعـرّف على أدلّته ، أو الشبهات التي يسـتند إليهـا في قوله ..

---

[2] (?) ـ رواه أبـــــو داود /4167/ عَنْ أَبِي أُمَامَـــــةَ ، والترمذي وابن ماجة وأحمد بألفاظ مقاربة .

7 ـ **وأن يتحلّى بالموضـــــوعيّة التامّة في نقد الآراء** والأفكـار ، بعيـداً عن العاطفيّـة والانفعـال وردود الفعـل . وأن يفصل بين الرأي وقائله ، إذ إنّ أكـثر النـــاس يحـــدّدون مـــواقفهم من الآراء والأفكار ، تبعاً لمـواقفهم ممّن يحملهـا أو ينادي بهـا . فكم من كلمـة حـقّ هجـرت ، لأنّ قائلهـا مغمـور بين النـاس .! وكم من كلمــة باطــل قُبلت ، لأن قائلهــا ذو جــاه ورئاسة .!

وقــد روي عن عليّ أنّــه قــال : " **اعـرِفِ الرجـالَ بـالحقّ ، ولا تَعـرفِ الحقَّ بالرجال** " .

ــ وفي روايــة رويت من كلام عمــر : " **اعرف الحقّ تعرف أهله** " .

هذه أهمّ آداب المناقشات العلمية ، إذا تحقّــق بهــا المتنــاظرون ، أثمــرت مناظرتهم تفهّم وجهات نظر بعضهم بعضاً

، وانكســـرت حـــدّة الخلافـــات ، وزالت أســـباب ســـوء الفهم أو ســـوء الظنّ ، واتّســـعت مـــدارك كـــلّ فريـــق .. وأمكن التقـــاء الجميـــع ، وتفـــاهمهم في دائـــرة الأمور المتفق عليها ، المسلّم بها .. والله الموفّق والهادي إلى سواء السبيل .

الخاتمة .. ونسأل الله تعالى حسنها

وختاماً ، فإنّ المحور الذي تدور حوله رسالة المعلّم ، وتصدر عنه آداب العالم والمتعلّم ، أن يكون حملة العلم قدوة حسنة ، وأسوة صالحة لمن يُعلّمونهم ، يرون من أخلاقهم وسلوكهم ، وسمتهم وأدبهم ، وكلامهم ومواقفهم ، ما يطبع في نفوسهم أزكى الصفات ، ويحبّب إليهم الحقّ ، ويزيّنه في قلوبهم ، فلا تزال نبتته تنمو وتزهر ، وتُؤتي أُكلها كلّ حين بإذن ربها ، فلا تستطيع شوائب الفساد والانحراف ، أن تدخل القلوب ، أو تعشّش حولها : ([illegible]) الرعد .

وإن المعلّم الـذي يهـدم بفعلـه مـا يبني بقوله ، فإنّ أوّل ما يهـدم من قلـوب أبنائـه ثقتهم بـه ، فلا ينظـرون إليـه أنّـه الأسوة الحسـنة لهم ، والقـدوة المحببـة ، وهذا ما يحـدث الانفصـام في حيـاتهم بين العلم والعمل ، والقـول والسـلوك ، وينبت خلائـــق التصّنّع والنفـــاق ، والكـــذب الاجتمـاعيّ ، وتلـك من أهمّ أسـباب بـوار الأمم وهلاكهـا .. وهـذا مـا يـترك أيضـاً المجـال الواسـع ، والمرتـع الخصـب ، لشـــياطين الإنس والجنّ : أن تســـتولي على القلوب ، وتستهويها ، وتصـدّ النـاس عن سبيل الله ، وصراطه المستقيم ..

وإنّ من أعظم أسباب خلود رسالة الإسـلام ، خلـود شخصـية رسـول اللـه ﷺ وعصمته ، وقد جعلـه اللـه تعـالى الأسـوة الحسنة للمؤمنين فقال سبحانه : (

(□ □ □ □ □ □ □ □ □ ى ى ي ي □)
الأحزاب .

وشـــهد لـــه أعظم شـــهادة فقـــال سبحانه : (ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ) القلم .

لقد جمع الله تعالى لهذه الأمة بين حفظ القرآن الكريم ، وهو الوحي المنزّل ، والمنهج المكتوب ، وبين حفظ المنهج العمليّ ، المتمثل في سيرة النبي المعصوم ، صلوات الله وسلامه عليه ، وسنّته النبويّة المطهّرة .. فكانت بذلك الأمّةَ الخاتمةَ بحقّ ، حاملةَ رسالة العلم والتعليم ، والريادة للأمم والشهادة على الناس ..

اللهمّ إنّا نسألُك عِلمـاً نافِعـاً ، وقلباً خاشِعاً ، ورِزقاً حَلالاً واسِـعاً ، وعمَلاً مُتقبّلاً ، وَشِفاءً مِن كُلِّ داء ، ونَســـــألُكَ اللهمّ حُبَّكَ ، وحبّ مَن يحبُّكَ ، وحُبّ العمـل الـذي يُقرّبُنـا إلى حُبّك . ونَسألُكَ العمَلَ بكتابِـك ، والاتباعَ لسنّة نبيّكَ سيّدِنا محمّدٍ ﷺ ، في الأقـــوالِ والأفعـــالِ والأخلاقِ والأحوالِ والآداب .

اللهمّ علّمنـــا مـــا ينفعُنـــا ، وانفَعنـا بمـا علّمتَنـا ، وزِدنـا عِلمـاً وعمَلاً وفِقهـاً في الـدينِ ، وسـلامٌ على المرسـلينَ ، والحمـدُ للـهِ ربِّ العالمينَ .

وصلّى الله وسلّم وبارك على
عبده ونبيّه سيّدنا محمّد الطاهر
الزكيّ ، وعلى آله وصحبه أجمعين ،
والحمد لله ربّ العالمين

نداء ورسالة إلى كلّ معلّم ومعلّمة !

أيّها المعلّمـون ! طـوبى لكم هـذه المهنة ، مهنـة الأنبيـاء والمرسـلين .. وهنيئـاً لكم هذا الشـــرف ، شرف تربيـــة النفوس وبنـــاء العقول .. إنّهـا تجمع لكم بين أجــري الـــــدنيا والآخرة .. فـــــارفعوا هممكم عن الوقوف عند عرض الدنيا الزائل ..

ــ اخـدموا هـذه المهنـة الشـريفة ؛ برفـــع مســـتواكم العلميّ والـــتربويّ ، والتقـاط الحكمـة حيث كـانت ، ومواكبـة وسائل العصـــر ومســـتجدّاته ، إذ كيـــف يرجى العطاء المتميّــز من جاهل بزمانه ، أو مجافٍ لـه ، ومُتخلّـف عن عصـره غـير بصيرٍ به .؟!

وها هي ذي الأسر ، تلقي إليكم كلّ يــوم بفلــذات أكبادهــا ، والمجتمــع يلقي إليكم ببراعم أكمامه ، ويضـع بين أيـديكم أمانة غالية ، ويحمّلكم مسئوليّة عظيمة ..

وأمّتكم تعلّـــق على جهـــادكم الآمـــال العريضة ..

ــ إنّ الآمـال الـتي يعقـدها الأبـاء والأمّهات على أبنـائهم ، أنتم السـبيل إلى تحقيقهـا ، وإنّ قلـوبَ أهـل الأرض تتطلّـع إلى جهـدكم وجهـادكم ، وملائكـةَ السـماء تحفّكم وترعاكم ، والله سـبحانه وتعـالى يرى عملكم ، ويشهد

قيامكم بحقّ هذه الأمانة ، أو تفريطكم فيها ..

ــ لقـد بـوّأكم اللـه تبـارك وتعـالى مقامـاً عظيماً ، اختصّ بـه ذاتـه العليّـة ، وجعلـه أشـرف مهمّـات رسـله الكـرام.. فأخلصوا لله نيّـاتكم ، واحتسـبوا عنـد اللـه عملكم وجهـــادكم ، وقـــدّروا شـــرف المهمّـــة ، وعظم الأمانـــة ، وجليـــل المسـئوليّة ، واعلمـوا أنّـه لن يقـدر أحـد جهادكم حـقّ قـدره سـوى خـالقكم الـذي يعلم السرّ وأخفى ، فعلّقوا قلوبكم باللـه ، وابتغوا مرضاته في كلّ شأن ..

واعلمـوا ــ أيّهـا المعلّمـون ــ أنّكم تضعون بصماتكم على شخصيّة أبناء الأمّة ، وقلوبهم وعقولهم وسلوكهم .. فـانظروا أيّ البصــمات تضــعون ؟ وتــتركون في قلوبهم ، وعلى ألسـنتهم الـذكرى .. فـأيّ ذكرى تتركون ..؟!

إنّ نهضـــة التعليم أنتم روّادهـــا ، وأمــدادها ، فقوّمــوا أنفســكم من خلال ثمـراتكم وآثـاركم .. وإنّ مفخـرة سـلفنا كانت بأساتذتهم وتلاميذهم على حدّ سواء .. فكم من تلميـذ رفـع أسـتاذه ، وفاقـه ! وأعلى قدره وخلّد ذكره .!

وكم كان للأساتذة والشيوخ والأئمّة في هـذه الأمـة من أثـر جليـل في بنـاء الرجال ، وتخريج القـادة ، وصـنع الأبطـال الفـاتحين ، وصـياغة الحضـارة الإسـلاميّة المشـرقة الزاهـرة في كـلّ جـانب من جوانبها ..!

أيّهـا المعلّمـون ! لا تنسـوا أنّ هـذه المـدارس والمعاهـد تـزدان بكم وتزهـر ،

وأنتم تزدانـــون بنـــور قلـــوبكم ، وصـــفاء نيّاتكم ، وسلامة قصدكم ، واجتهـادكم في البذل والعطاء ، وسلوككم المتألّق القدوة ..

أنتم مصـابيحُ الأمّـة ، وتيارُهـا نبض قلوبكم ، وقوّة يقينكم ، وحماستكم للخير الفيّاضة ..

فـــأيّ فلاح للأمّـــة .؟ إن احـــترقت مصابيحها ، أو تقطّعت خطوط تيارهـا ، أو همدت حرارة دمها ؟!

وكيـــف تـــرجى لهـــا نهضـــة ورقيّ ، ومنافســـة لأمم الأرض ؟! إن خفتت فيهـــا المصابيح .. وتلاشت في جنباتها الأنوار ؟!

أيّهـا المعلّمـون ! سـيذهب الجهـد والتعب ، وتبقى الآثـار والثمـرات ، والأجـر والمثوبة ، فـانظروا ببصـائركم إلى الآثـار والثمرات ، ومثوبة الآخرة تنس أجسادكم التعب الحاضر ، والمشقّات العارضة ..

أيّها المعلّمون ! (.. [illegible]

[illegible]) التوبة .

[illegible]

أهمّ المراجع

1 ـ القرآن الكريم .
2 ــ المعجم المفهـرس لألفـاظ القـرآن الكريم للأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي .
3 ــ المعجم المفهـرس لألفـاظ الحـديث الشريف ـ مجموعة من المستشرقين .
4 ــ فتح البـاري بشـرح صـحيح البخـاري للإمام ابن حجر العسقلاني .
5 ـ شرح النووي على صحيح مسلم .
6 ـ سنن الترمذي .
7 ـ سنن أبي داود .
8 ـ سنن النسائي .
9 ـ سنن ابن ماجه .
10 ـ مسند الإمام أحمد بن حنبل .
12 ـ فهرس مسـند الإمـام أحمـد تـرتيب أبــو هــاجر محمــد الســعيد بن بســيوني زغلول .
13 ـ فيض القدير شرح الجامع الصغير .

14 ـ رياض الصالحين ــ للإمـام النـووي ـ تحقيق رباح والدقاق .

15 ـــ الـــترغيب والـــترهيب للحافـــظ المنذري .

16 ـ إحياء علوم الدين للإمـام أبي حامـد محمّد الغزالي .

17 ـــ أدب الـــدنيا والـــدين ، للإمـــام الماوردي .

18 ــ تـذكرة السـامع والمتكلّم في آداب العــالم والمتعلّم للإمــام بــدر الــدين بن جماعة .

19 ــ الـدعوة للإسـلام وأركانهـا للشـيخ أحمد عز الدين البيانونيّ .

20 ـ من محاسن الإسـلام للشـيخ أحمـد عزّ الدين البيانونيّ .

21 ـ منهاج التربية الصالحة للشيخ أحمـد عزّ الدين البيانونيّ .

رقم الصفحة	الموضوع

131 .... [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

* صدر للمؤلّف *

1 ـ ضرب الأمثال في القـرآن أهدافـه التربويّـة وآثاره .

2 ـ وجوب وحدة المسلمين .

3 ـ رسالة المعلّم وآداب العالم والمتعلّم .

4 ـ رسالة اعرف نبيّك محمّداً يا بنيّ .!

5 ـ رسالة ومضات من هدي النبيّ الخاتم .

6 ـ البيّنات في تفسير سورة الحجرات .

7 ـ رسالة المنهج القويم للداعية الحكيم .

8 ــ رســالة مشــاهد الأتقيــاء في الصــبر على الابتلاء .

9 ـ رسالتان في التربية .

10 ـــ قصـــص وعـــبر من عجـــائب القـــدر . المجموعة الأولى .

11 ـــ قصـــص وعـــبر من لطـــائف القـــدر . المجموعة الثانية .

12 ـ رسالة حديث القلب .

13 ــ رســالة النصــائح الذهبيّــة لتربيــة الأولاد ورعايتهم .

14 ــ قبسـات من نـور النبـوّة لصـاحبي الفضـيلة الشيخ أحمد عزّ الدين البيانونيّ والشيخ عبد الفتّـاح أبو غدّة رحمهما الله بعناية د. عبدالمجيد البيانونيّ ، وفي ختامـه رسـالة : " ومضـات من هـدي النـبيّ الخاتم " .

15 ـ تذكرة العابد بحقوق المساجد .

16 ـ أساليب تربويّة ومفاهيم دعويّـة من حيـاة الشيخ أحمد عزّ الدين البيانوني .

17ــ ركــائز دعويّــة من هــدي النــبيّ في العلاقات الاجتماعيّة .

18 ـ القول المبين في تفسير سورة : " يس " .

19 ــ لمحــات من حياةالشــيخ أحمــدعزّ الــدين البيانوني وتعريف بمؤلّفاته .

20 ـ لئلاّ تضيع الطفولـة : ثلاثـون سـبباً تمنعـك من الطلاق .!

21 ــ مواقــف تربويّـة من هـدي النـبيّ مـع الأطفال .

22 ــ إنّهـا الأنثَى .! رؤى نقديّـة حـول دعـوى التمييز ضدّ المرأة

هذه الرسالة

الإسـلام دين العلم ، والتعليم مهنـة الأنبيـاء ، وأكـرم بهـا من مهنـة ! وكفى بـالمعلّم شـرفاً أن يكـون على خطـا الأنبيـاء وهـديهم إذا أدّى حـقّ العلم ، وكان وفيّاً بهذه الأمانة ..

وإذا كان عمل كثير من المعلّمين لا يـؤتي ثمراتـه .؟ فلأنّهم نسـوا مهمّتهم ورسالتهم وأصـبحوا مـوظّفين ، بعيـدين عن رسـالة العلم ، ومـا تحملـه من أهـداف سـامية ، ولم يكونـوا قـدوة للمتعلّمين ، وأصـبح تعليمهم صـورة تنسـخ ، لا روحـاً تنفخ ، ومـادّة تملأ العقول ، لا آداباً تهذّبُ النفوسَ ..

ولن تعود للتعليم روحه الإسـلاميّة مـا لم تسـبق الآدابُ العلـومَ ، والتزكيـةُ التعليمَ ، غرساً وتعهّداً ورعايـة ، وتتضافر على ذلك جهود الآباء والمربّين ، وبـذلك

يكـــون المتعلّمـــون قـــرّة عين الآبـــاء والمعلّمين ، فـاحرص أخي القـارئ أبـاً كنت أو معلّماً أن تكـون من حملـة هـذه الأمانة ، والله الموفّق والمستعان .